رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستوى الأول إلى الثاني عشر

زوائد المؤلفات على
المنهج الدراسي الميسر

شرح

نظم في

آدابِ طالب العلم

للشيخ أحمد النجمي رحمه الله تعالى (ت ١٤٢٩)

تأليف
أبي عبد الله محمد المصنعي
وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فهذا شرح ميسر على (نظم في آداب طالب العلم) للعلامة النجمي رحمه الله تعالى، وفيه (٢٦) أدبًا، في (٢٣) بيتًا.

وأصل هذا النظم ضمن منظومة طويلة للشيخ بعنوان: (صيحة حق في صماخ الباطل)، وهي مطبوعة في حياة الشيخ، وقد شرحها غير واحد من أهل العلم.

والله الموفق.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٤٧ هـ بدولة ليبيا، مدينة الكُفْرة

****

بسم الله الرحمن الرحيم

"نَظْمٌ فِي آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ"

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى النَّجْمِيِّ (ت١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

١ يَا طَالِبًا لِلْعِلْمِ خُذْ آدَابَهُ ... عَنِّي وَلَا تَسْمَعْ جَهُولًا عَابَهُ

٢ أَوَّلُهَا الْإِخْلَاصُ للهِ الْعَلِي ... فِي نَيْلِهِ وَنَشْرِهِ وَالْعَمَلِ

٣ وَثَانِيًا فَجِدَّ فِي التَّحْقِيقِ ... وَثَالِثًا فَاحْرِصْ عَلَى التَّطْبِيقِ

٤ وَرَابِعًا أَنْ تَأْلَفَ الْمَسَاجِدَا ... [٥]وَصَاحِبِ الْحَبْرَ الْكَرِيمَ الْمَاجِدَا

٥ وَسَادِسًا فَكُنْ وَقُورًا وَاتَّئِدْ ... كُنْ ذَا أَنَاةٍ فِي الْأُمُورِ تَسْتَفِدْ

٦ وَسَابِعًا فَكُنْ بِهِ مُرْتَفِعَا ... عَنْ كُلِّ سَفْسَافٍ يُثِيرُ السُّمَعَا

٧ وَثَامِنًا دَعْ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ ... فَإِنَّهَا عَارٌ عَلَى الْأَخْيَارِ

٨ وَتَاسِعًا عَدِّ عَنِ الْأَطْمَاعِ ... وَاقْنَعْ بِمَا يَكْفِيكَ لِلْمَتَاعِ

٩ [١٠]وَالْبَسْ حَيَاءً مِنْ وَلِيِّ نِعْمَتِكْ ... أَنْ لَا يَرَى مَكْرُوهَهُ فِي خَلْوَتِكْ

١٠ وَحَادِيًا مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ فَاتَّبِعْ ... نَبِيَّنَا وَامْقُتْ لِكُلِّ مُبْتَدِعْ

١١ [١٢]فِي أَدَبٍ وَالزِّيِّ وَاللِّبَاسِ ... فَإِنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْأَكْيَاسِ

١٢ وَثَالِثًا مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ فَاحْتَرِمْ ... شَيْخًا فَمَنْ يُهِنْهُ كَمْ حَظًّا حُرِمْ

١٣ [١٤]وَعُدْهُ إِنْ كَانَ مَرِيضًا [١٥]وَابْتَهِجْ ... فِي وَجْهِهِ فَهُوَ بِذَاكَ يَبْتَهِجْ

١٤	[١٦]وَاحْفَظْ لَهُ عِرْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ	فَهْوَ الْأَبُ الرُّوحِيُّ دُونَ رَيْبِ
١٥	[١٧]وَبَعْدَ هَذَا فَاذْكُرَنْهُ بِالحَسَنْ	إِنْ ثَمَّ عَيْبٌ قُلْ أَنَا بَعْضُ الْمِنَنْ
١٦	[١٨]وَكُنْ كَرِيمًا بِالْحُطَامِ إِنَّهُ	يَعُودُ نَتْنًا يَسْتَقِي مَنْ شَمَّهُ
١٧	[١٩]وَكُنْ شُجَاعًا قَائِلًا بِالْحَقِّ	[٢٠]أَمْرًا بِعُرْفٍ لِلْوَلِيِّ الْحَقِّ
١٨	[٢١]وَنَكِّرِ الْمُنْكَرَ، إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ	فَاهْرُبْ تَغَيَّبْ رَيْثَمَا أَنْ يَنْقَطِعْ
١٩	[٢٢]وَكُنْ صَبُورًا، [٢٣]وَاتَّصِفْ بِالْحِلْمِ	فَإِنَّهُ مِنْ شِيَمَ اهْلِ الْعِلْمِ
٢٠	[٢٤]وَاحْذَرْ مِنَ الْكِتْمَانِ إِنْ كَاتِمَا	عِلْمًا عَنِ النَّاسِ بِنَارٍ أُلْجِمَا
٢١	[٢٥]وَدَعْ مِرَاءً لِلسَّفِيهِ، [٢٦]وَلْتَقُمْ	فِي جَوْفِ لَيْلٍ خَاشِعًا ذَا شَأْنُهُمْ
٢٢	فَهَذِهِ عِشْرُونَ خَصْلَةً أَتَتْ	وَبَعْدَهَا سِتٌّ بِعِقْدٍ نُظِمَتْ
٢٣	فَاشْدُدْ بِهَا يَدَيْكَ فِي الْأَحْدَاثِ	إِنْ رُمْتَ قِسْمَةً مِنَ الْمِيرَاثِ



ترجمةٌ لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى النَّجْمِيِّ (ت١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

اسمه ونسبه: العلامة، المحدث، المسند، الفقيه، مفتي منطقة جازان، وحامل راية السنة والحديث فيها، الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي آل شبير من بني حُمَّد، إحدى القبائل المشهورة بمنطقة جازان.

ولادته: ولد بقرية النجامية في (٢٢ شوال ١٣٤٦ هـ) ونشأ في حجر أبوين صالحين ليس لهما سواه.

فكانا محافظين عليه محافظة تامة، حتى إنهما لا يتركانه يلعب بين الأولاد.

طلبه للعلم: ولما بلغ سن التمييز أدخلاه كتاتيب القرية فتعلم القراءة والكتابة، وقرأ القرآن ثلاث مرات في الكتاتيب الأهلية قبل مجئ الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى، آخرها في العام (١٣٥٨هـ) الذي قدم فيه الشيخ القرعاوي.

حيث قرأ القرآن أولاً على الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي عام ١٣٥٥هـ، ثم قرأ أيضاً على الشيخ: يحيى فقيه عبسي وهو من أهل اليمن، وكان قد قدم على النجامية وبقي بها ودرس عليه شيخنا في عام ١٣٥٨هـ، ولما قدم الشيخ عبد الله القرعاوي، حصلت بينه وبين هذا المعلم مناظرة في مسألة الاستواء – وكان أشعرياً – فهزم، وهرب على إثر ذلك.

وتردد الشيخ مع عمَّيه الشيخ حسن بن محمد، والشيخ حسين بن محمد النجميين على الشيخ عبد الله القرعاوي في مدينة صامطة أياماً ولكنه لم يستمر، وكان ذلك في عام (١٣٥٩هـ) وفي عام (١٣٦٠) وفي صفر بالتحديد التحق شيخنا بالمدرسة السلفية، وقرأ القرآن هذه المرة بأمر الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى على الشيخ عثمان بن عثمان حملي رحمه الله تعالى حيث قرأ عليه القرآن مجوداً، وحفظ (تحفة الأطفال) و(هداية المستفيد) و(الثلاثة الأصول)

و(الأربعين النووية) و(الحساب) وأتقن تعلم الخط.

وكان يجلس في الحلقة التي وضعه الشيخ فيها إلى أن يتفرق الطلبة الصغار بعد صلاة الظهر، ثم ينظم إلى الحلقة الكبرى التي يتولى الشيخ عبد الله القرعاوي تدريسها بنفسه فيجلس معهم من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العشاء، ثم يعود مع عميه المذكورين سابقاً إلى قريته.

وبعد أربعة أشهر أذن له الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى أن ينضم إلى هذه حلقة الكبار التي يدرسها الشيخ بنفسه، فقرأ على الشيخ فيها: (الرحبية) في الفرائض، و(الآجرومية) في النحو، و(كتاب التوحيد) و(بلوغ المرام) و(البيقونية)، و(نخبة الفكر) وشرحها (نزهة النظر)، و(مختصرات في السيرة)، و(تصريف الغزي)، و(العوامل في النحو مائة)، و(والورقات) في أصول الفقه، و(العقيدة الطحاوية) بشرح الشيخ عبدالله القرعاوي، قبل أن يروا شرح ابن أبي العز عليها، ودرس أيضاً شيئاً من (الألفية) لابن مالك، و(الدرر البهية) مع شرحها (الدراري المضية) في الفقه، وكلاهما للشوكاني – رحمه الله تعالى–، وغير ذلك من الكتب سواء منها ما درسوه كمادة مقررة كالكتب السابقة، أو ما درسوه على سبيل التثقف لبعض الرسائل والكتب الصغيرة، أو كانوا يرجعون إليه عند البحث كـ (نيل الأوطار) و (زاد المعاد) و (نور اليقين) و (الموطأ) و (الأمهات).

وفي عام (١٣٦٢هـ) وزع عليهم الشيخ عبد الله – رحمه الله تعالى – أجزاء الأمهات الموجودة في مكتبته وهي: (الصحيحين) و (سنن أبي داود) و (سنن النسائي) و (موطأ الإمام مالك) فقرؤا عليه فيها ولم يكملوها؛ لأنهم تفرقوا بسبب القحط.

وفي عام (١٣٦٤هـ) عادوا فقرؤا عليه ثم أجازه الشيخ عبد الله – رحمه الله تعالى – برواية الأمهات الست.

وفي عام (١٣٦٩هـ) درس على الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي – رحمه الله – قاضي صامطة في ذلك الوقت كتاب إصلاح المجتمع، وكتاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله تعالى

- في الفقه المرتب على صيغة السؤال والجواب واسمه: (الإرشاد إلى معرفة الأحكام).

كما درس على الشيخ على بن الشيخ عثمان زياد الصومالي بأمر من الشيخ عبد الله القرعاوي - رحمه الله - في النحو كتاب (العوامل في النحو مائة) وكتب أخرى في النحو والصرف.

وفي عام (١٣٨٤هـ) حضر في حلقة الشيخ الإمام العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله لمدة تقارب شهرين في التفسير في (تفسير ابن جرير الطبري) بقراءة عبد العزيز الشلهوب، كما حضر في العام نفسه في حلقة شيخنا الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز لمدة شهر ونصف تقريباً في صحيح البخاري بين المغرب والعشاء.

شيوخه: مما مضى يتبين لنا شيوخه وهذا ترتيبهم:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي: قاضي صامطة في حينه.

٢ ـ الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٣ - الشيخ العلامة الداعية المجدد في جنوب المملكة عبد الله القرعاوي- رحمه الله تعالى- وبه تخرج الشيخ أحمد، فهو أكثر شيوخه إفادة له.

٤ ـ الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي.

٥ ـ الشيخ عثمان بن عثمان حملي.

٦ ـ الشيخ علي بن الشيخ عثمان زياد الصومالي.

٧ ـ الشيخ الإمام العلامة مفتي البلاد السعودية السابق محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٨ ـ الشيخ يحيى فقيه عبسي اليمني.

تلاميذه: وهم كثير، فمن أمضى مثل هذه المدة في التدريس التي تقارب النصف قرن، كم يتصور أن يكون تلاميذه، ولو ذهبت أعددهم لاحتجت إلى مجلد ضخم؛ وإنما أذكر نموذجاً يستدل به على الباقين فمنهم:

١ ـ العلامة المحدث ناصر السنة الشيخ ربيع بن هادي.

٢ ـ العلامة الفقيه زيد بن محمد هادي المدخلي.

٣ ـ العالم الفاضل علي بن ناصر الفقيهي.

وإنما اكتفيت بذكر هؤلاء الثلاثة لشهرتهم في الأوساط العلمية، فلا يعتب علينا أحد.

أعماله : عمل مدرساً بمدارس شيخه القرعاوي – رحمه الله تعالى – احتساباً، وعندما بدأت الوظائف عين مدرساً بقريته (النجامية) وكان ذلك في عام ١٣٦٧هـ، وفي عام ١٣٧٢هـ نقل إماماً ومدرساً في قرية (أبو سبيلة) في (بالحُرَّث)، وفي عام ١٣٧٤هـ وفي ١/ ١/ ١٣٧٤هـ بالتحديد عندما فتح المعهد العلمي في (صامطة) عين مدرساً به حتى عام ١٣٨٤هـ حيث استقال من التدريس بالمعهد على أمل أن يدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وسافر إليها؛ لكن حصلت له ظروف حالت دون ذلك، فعاد إلى المنطقة وكتب الله تعالى له التعيين واعظاً مرشداً بوزارة العدل بمنطقة جازان، فقام بالوعظ والإرشاد أحسن قيام.

وفي عام (١٣٨٧هـ) وبالتحديد في ١/ ٧ منه عاد مدرساً بالمعهد العلمي بمدينة (جازان) حسب طلبه، وفي ابتداء الدراسة عام ١٣٨٩هـ عاد إلى التدريس بمعهد (صامطة) وبقي به مدرساً حتى أحيل على التقاعد في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ.

ولكنه استمر بالتدريس في بيته والمسجد المجاور له ومساجد أخرى في المنطقة في دروس أسبوعية مع القيام بأمر الفتوى.

وهو في هذا كله قد عمل بوصية شيخه له في مداومته على التعليم، والمحافظة على المتعلمين وخاصة الغرباء والمنقطعين منهم، وله على ذلك صبر عجيب، فجزاه الله عنا خيراً.

وواصل الدراسة والبحث والاستفادة، وخاصة في علمي الحديث والفقه وأصولهما حتى فاق أقرانه، وأصبح له في ذلك اليد الطولى.

آثاره العلمية: وهي كثيرة ومنها:

١ ـ أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة.

٢ ـ تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام.

٣ ـ تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

٤ ـ رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد.

٥ ـ رسالة في حكم الجهر بالبسملة.

٦ ـ فتح الرب الودود في الفتاوى والردود.

٧ ـ المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.

وغير ذلك من المؤلفات النافعة التي قدمها للمسلمين جزاه الله تعالى خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين.

وفاته: بعد مرض دام لأشهر توفي في (١٤٢٩ هـ) رحمه الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمت منقولة من ترجمة بعض طلابه.



[أهمية الآداب لطالب العلم]

١	يَــا طَالِبًــا لِلْعِلْــمِ خُــذْ آدَابَــهُ	عَنِّـــي وَلَا تَسْـــمَعْ جَهُولًــا عَابَــهُ

التعليق:

قوله: (**يَا طَالِبًا لِلْعِلْمِ**) طَالِبُ الْعِلْمِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ: يُرَادُ بِهِ مَنْ يَهْتَمُّ بِعِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، فَأَكْثَرَ حِفْظاً وَدِرَاسَةً وَفَهْماً؛ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَخَرَجَ بِذَلِكَ طلابُ عِلْمُ الدُّنْيَا؛ فَلَا يُقَالُ فِيهِ طَالِبُ عِلْمٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا يُقَيَّدُ بِالْعِلْمِ الَّذِي يَطْلُبُهُ مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا.

وَخَرَجَ أَيْضاً بِقَوْلِنَا: (حِفْظاً وَدِرَاسَةً): مَنْ يَحْضُرُ لِلْفَائِدَةِ الْعَابِرَةِ دُونَ اهْتِمَامٍ وَكِتَابَةٍ، وَمَنْ يَحْضُرُ مِنْ أَجْلِ فَضْلِ حَلَقَاتِ الْعِلْمِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا فَقَطْ.

وَكَذَلِكَ بِقَوْلِنَا: (عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ): خَرَجَ مَنْ يَدْرُسُ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ وَالصُّحُفِ، وَيَقْرَأُ مِنَ الْكُتُبِ فَحَسْبُ.

والَّذِينَ يَحْضُرُونَ لِلْفَائِدَةِ وَالْأَجْرِ فِي الحَلَقَاتِ، وَكذلكَ الَّذِي يَقْرَأُ فِي الْكُتُبِ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ الرِّحْلَةُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ؛ هَؤُلَاءِ عَلَى خَيْرٍ مَا دَامُوا عَلَى الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، ولمْ يتجاوزوا مستوَاهُم.

أَمَّا الْخَطِيبُ وَالْمُثَقَّفُ وَالْكُتَّابُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَطْلُبُوا الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ونحوِهم، فَهَؤُلَاءِ فِي الحَقِيقَةِ لَا يُسَمَّوْنَ طُلَّابَ عِلْمٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُعَقِّبُ وَيَقُولُ: وَكَانَ عَامِيّاً. الْآنَ يُقَالُ لِطُلَّابٍ صِغَارٍ: الشَّيْخُ فُلَانٌ وَالشَّيْخُ فُلَانٌ... مُبَالَغَاتٌ!

فَمِنَ الْآدَابِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يُحَافِظُ عَلَى اسْمِهِ وَصِفَتِهِ، وَلَا يَجْرِي خَلْفَ الْأَلْقَابِ مِثْلَ "الشَّيْخِ" وَ"الْعَلَّامَةِ" وَكَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْغُرُورِ، لَا سِيَّمَا فِي بِدَايَةِ طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: (**خُذْ آدَابَهُ**)؛ الْآدَابُ جَمْعُ أَدَبٍ، وَهُوَ حُسْنُ التَّعَامُلِ.

وَأَصْلُ الْأَدَبِ هُوَ تَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْحِلْمُ عَنِ الخَلْقِ.

وَلِذَلِكَ سَيَأْتِي مَعَنَا أَنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ذَكَرَ فِي الْآدَابِ هَذَا وَهَذَا.

وَالْأَدَبُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ هَذَا الدِّينِ، وَسِمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»؛ فَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ جَاءَتْ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ جَمِيعاً عليهمُ السلامُ، وَكَانَتْ بِعْثَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْسَعَهَا فِي ذَلِكَ، فَهُوَ مُتَمِّمٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَأَكْمَلُ النَّاسِ أَدَباً أَكْمَلُهُمُ اتِّبَاعاً لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولَا يَزَالُ السَّلَفُ يَحُثُّونَ أَبْنَاءَهُمْ وَطُلَّابَهُمْ عَلَى الْآدَابِ؛ لِأَنَّ الْآدَابَ هِيَ الْكِسَاءُ الجَمِيلُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ السَّلَفِ قَالَ: "الْأَدَبُ نِصْفُ الْعِلْمِ".

وَجاءَ عَنِ اللَّيْثِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ: "أَنْتُمْ إِلَى يَسِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ".

وَهَذَا حَاصِلٌ؛ فَيُوجَدُ الْكَثِيرُ مِنَّا مَنْ هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْآدَابِ.

وَالْعِلْمُ أَسَاسٌ لِلدِّينِ وَالْأَدَبِ، كما أَنَّ الْأَدَبُ زِينَةُ الْعِلْمِ وَجَمَالُهُ.

وَالْأَدَبُ نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ.

وَمِنَ الْكَلِمَاتِ الجَمِيلَةِ لِابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: وَأَدَبُ المَرْءِ عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، وَقِلَّةُ أَدَبِهِ عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.

وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ لَزِمَ الْأَدَبَ أَمِنَ الْعَطَبَ".

والـآداب أَنْوَاعٌ:

آدَابٌ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وآدَابٌ مَعَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وآدَابٌ مَعَ النَّاسِ.

وآدَابٌ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَالشَّيْخُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ذَكَرَ مِنَ الْآدَابِ وَالشَّمَائِلِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا طَالِبُ الْعِلْمِ، وَقَدْ أَلَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ مُؤَلَّفَاتٍ كَثِيرَةً، وَفِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ زُبْدَةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ أَهَمِّ الْآدَابِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَلَا تَسْمَعْ جَهُولاً عَابَهُ**)؛ الجَهُولُ هُوَ كَثِيرُ الجَهْلِ.

والجهلُ له ثلاثُ معنيان:

الأول: هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ، أَوِ الْفَهْمُ الخَاطِئُ.

أي: الجَهْلُ الْبَسِيطُ: هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْكُلِّيَّةِ.

و: الجَهْلُ المُرَكَّبُ: هُوَ الْفَهْمُ الخَاطِئُ.

والثاني: عدمُ العملِ بالعلمِ وقلةُ الصبرِ والورعِ.

وَمِنْ أَقْبَحِ الجَهْلِ: عَدَمُ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ.

وَالجَاهِلُ أَحْيَاناً لَا يَقْتَنِعُ بِجَهْلِهِ، بَلْ يُحَارِبُ الْعِلْمَ أَوْ يُنَفِّرُ عَنْهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِماتِ هَذَا الصِّنْفِ.

وَقَوْلُهُ: (**عَابَهُ**): أَيْ ذَمَّهُ، أَوْ ذَمَّ طَالِبَهُ، أَوْ عَيَّرَهُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا: "مِنْ أَيْنَ سَتَأْكُلُ؟ مِنْ أَيْنَ سَتَشْرَبُ؟ مِنْ أَيْنَ سَتَتَزَوَّجُ؟ إِذَا مُتَّ مَنْ يَصْرِفُ عَلَى أَوْلَادِكَ؟".

يَبْدَأُ يُهَوِّلُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ التَّفَرُّغَ لِلْعِلْمِ.

فَلِذَلِكَ طَالِبُ الْعِلْمِ يَمْضِي قُدُماً، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْمُثَبِّطِينَ، وَلَا إِلَى مَنْ يَسْعَى لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِلْمِ؛ وَبَيْنَ آدَابِ الْعِلْمِ. وَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى.

[الأَدَبُ الأَوَّلُ: الإِخْلَاصُ]

٢	أَوَّلُهَا الْإِخْلَاصُ للهِ الْعَلِي فِي نَيْلِهِ وَنَشْرِهِ وَالْعَمَلِ

الشرح:

قوله: (أَوَّلُها الْإِخْلَاصُ للهِ الْعَلِي): الإِخْلَاصُ: أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ وَجْهَ الله تَعَالَى وَالدَّارَ الآخِرَةَ.

ويَنْوِي بِطَلَبِهِ لِلْعِلْمِ ثلاثةَ مقاصد:

الأول: أَنْ يَرْفَعَ الجَهْلَ عَنْ نَفْسِهِ.

الثاني: أَنْ يَرْفَعَ الجَهْلَ عَنْ غيره.

والثالث: احْتِسابُ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلَا يَقْصِدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَلَا دُنْيَا.

وَالإِخْلَاصُ يُذْكَرُ فِي أَوَّلِ آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ أَسَاسٌ، وَعَلَيْهِ يُبْنَى الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ.

وَهَذَا الأَسَاسُ شَدِيدٌ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الحَذَرِ مِنَ الْمُغْرِيَاتِ الَّتِي تَصْرِفُ نِيَّةَ الْعَبْدِ عَنِ الإِخْلَاصِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

وَالْعِلْمُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَآكَدِ الْوَاجِبَاتِ، وَلَا يَحْمِلُ الشَّرِيعَةَ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ لله عَزَّ وَجَلَّ وَحَرِصَ عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ؛ فَطَالِبُ الْعِلْمِ بِحَاجَةٍ إِلَى هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ: (الإِخْلَاصُ وَالاتِّبَاعُ)؛ فَإِنْ لَمْ يُخْلِصْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ، وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ وَقَعَ فِي الْبِدْعَةِ.

وهُنَاكَ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالإِخْلَاصِ؛ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيُرِيدُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا كوظيفةٍ، فَهَذَا يُنْصَحُ -حِفَاظًا عَلَى إِخْلَاصِهِ- أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ لِوَجْهِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنْ جَاءَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ تبعًا لَا قَصْدًا.

كَمَا أَنَّ الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ يَخْرُجُ لِلْجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الله وَتَحْصُلُ لَهُ الْغَنِيمَةُ.

وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَأْخُذَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ مُحَمَّلَةً بِالأَمْوَالِ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَدْحًا فِي الإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُجَاهِدُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الله تعالى، فَإِنْ جَاءَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا فَذَاكَ.

وَمِمَّا يُنَافِي الإِخْلَاصَ أيضًا:

الْعُجْبُ: وَقَدْ صَحَّ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ».

وحُبُّ الرِّيَاسَةِ: بَعْضُ النَّاسِ يَتَعَلَّمُ لِيَتَرَأَّسَ، وَهَذَا خَطَرٌ كَبِيرٌ.

وَقَوْلُهُ: (**فِي نَيْلِهِ وَنَشْرِهِ وَالْعَمَلِ**)؛ أَيْ: أَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى الإِخْلَاصِ حِينَ الطَّلَبِ، وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَيْضًا عِنْدَ التَّعْلِيمِ، بَلْ حَاجَتُكَ إِلَى الإِخْلَاصِ عِنْدَ التَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ أَكْثَرُ مِنْ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ التَّعَلُّمِ. وَأَيْضًا تَحْتَاجُ إِلَى الإِخْلَاصِ عِنْدَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ؛ فَالإِخْلَاصُ أَسَاسٌ لِكُلِّ عِبَادَةٍ.

ومِنَ الآدَابِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا طَالِبُ الْعِلْمِ عِنْدَ التَّعَلُّمِ:

الْحِرْصُ عَلَى الْعِلْمِ وَاغْتِنَامُ الْوَقْتِ، الْبُعْدُ عَنِ الْحَسَدِ مَعَ الزُّمَلَاءِ.

والِاعْتِنَاءُ بِالْكِتَابَةِ الْوَاضِحَةِ وَمُرَاجَعَةُ هَذِهِ الْكِتَابَةِ لِتَصْحِيحِ الأَخْطَاءِ.

وعَدَمُ مُقَاطَعَةِ الشَّيْخِ، والتَّبْكِيرُ إِلَى الدَّرْسِ، وَتَرْكُ الْغِيَابِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ.

والاعتِنَاءُ بالْمُرَاجَعَةِ: أَنْ يَحْرِصَ الطَّالِبُ عَلَى مُرَاجَعَةِ الدَّرْسِ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ؛ فَبَعْضُ الطُّلَّابِ يُغْلِقُ الْكِتَابَ بَعْدَ الِانْتِهَاءِ مِنَ الدَّرْسِ وَلَا يَفْتَحُهُ إِلَّا فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَهَذِهِ لَيْسَتْ سُلوكياتٍ مُنَاسِبَةً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، لَا مِنْ الحرصِ على العلمِ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الأَدَبِ مَعَ الشَّيْخِ.

فَإِنَّ الْمُدَرِّسَ إِذَا رَأَى مِنَ الطُّلَّابِ إِهْمَالًا رُبَّمَا تَهْبِطُ هِمَّتُهُ؛ ويَضْعُفُ فِي تحضِيرِ الدرسِ.

فَكَمَا أَنَّ الْمُدَرِّسَ يُشَجِّعُ الطُّلَّابَ، وإذْكَاءِ الهممِ عندهُم، فَكَذَلِكَ الطَّالِبُ يُشَجِّعُ الْمُدَرِّسَ، ورفع همتهِ باهْتِمَامِهِم وَتَبْكِيرِهِم وَاحْتِرَامِهِم لهُ، فَذلكَ يَنْشَطُ الشَّيْخُ لِتَحْضِيرِ الدَّرْسِ وَالْعِنَايَةِ بِالْمَعْلُومَاتِ، والاستِمرارِ في التعليمِ.

ومنَ الآدَابُ في نَشْرِ الْعِلْمِ:

ونَشْرُ الْعِلْمِ وَاجِبٌ كِفَائِيٌّ وَعِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، كَمَا فِي أَثَرِ الزُّهْرِيِّ: «نَعْشُ الْعِلْمِ حَيَاةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا». وَيَحْتَاجُ الْمُعَلِّمُ عِنْدَ النَّشْرِ إِلَى:

تَعْظِيمِ الْعِلْمِ، وَالإِخْلَاصِ فِيهِ، ورَبْطِ الطُّلَّابِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

والتَّوَاضُعِ، وَبَذْلِ الْوَقْتِ لِلرَّاغِبِينَ، وَاخْتِيَارِ أَحْسَنِ الأَوْقَاتِ لِلطَّلَبَةِ؛ فَهَذَا مِنْ أَمَانَةِ نَشْرِ الْعِلْمِ، وبعضُ المدرسينَ يعطي الطلبةَ نافلةَ وقتِه، ولو لم يُناسبُ الطلبةَ.

والتَّحْذِيرِ مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِرَقِ الضَّالَّةِ؛ (كَالرَّافِضَةِ، وَالشِّيعَةِ، وَالصُّوفِيَّةِ، وَالأَشْعَرِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ، وَأَصْحَابِ الْحِزْبِيَّاتِ كَـالإِخْوَانِ الْمُفْلِسِينَ وَالسُّرُورِيِّينَ وَجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ) وغيرِهم. فَكَثِيرٌ مِنَ الطُّلَّابِ يَغْرَقُ فِي الْبِدَعِ بِسَبَبِ تَعَلُّمِهِ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْبِدَعِ.

وَمِنْ آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ فِي الْعَمَلِ:

الإِخْلَاصُ وَالاتِّبَاعُ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



[الْجِدُّ فِي حتى التَّحْقِيقِ]

٣	وَثَانِيًا فَجِدَّ فِي التَّحْقِيقِ	وَثَالِثًا فَاحْرِصْ عَلَى التَّطْبِيقِ

الشرح:

الأَدَبُ الثَّانِي: الْجِدُّ فِي التَّحْقِيقِ.

وَالْجِدُّ هُوَ: الِاجْتِهَادُ الدَّائِمُ فِي الْعِلْمِ.

فَطَالِبُ الْعِلْمِ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَالِاسْتِمْرَارِ... وَيَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى السَّيْرِ الصَّحِيحِ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ، فَيَأْخُذُ الْكُتُبَ مُرَتَّبَةً كِتَابًا بَعْدَ كِتَابٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ عُلُومِ الآلَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَفَرَّغُ لِلْعُلُومِ الأَهَمِّ وَهِيَ: الْعَقِيدَةُ، وَالْفِقْهُ، وَالْحَدِيثُ.

وَضِدُّ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ: اللَّعِبُ، وَالْكَسَلُ، وَضِيَاعُ الْوَقْتِ؛ فَمَنِ اجْتَنَبَ هَذِهِ الثَّلَاثَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ.

وَكَمْ يَخْسَرُ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ! كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عن النبي ﷺ قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ فِي حِرْصِهِمْ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ؛ فَكَانُوا يَحْرِصُونَ حَتَّى عَلَى أَقَلِّ الأَوْقَاتِ، وَيَعْتَنُونَ بِتَفْرِيغِ الأَوْقَاتِ لِلْعِلْمِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقْرَأُ وَهُوَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ ويُرَاجِعُ مَعْلُومَاتِهِ، وَهَكَذَا أَيْضًا إِذَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الإِرْهَاقِ مِنَ التَّعَلُّمِ لَجَأَ إِلَى الْعِبَادَةِ؛ كُلُّ هَذَا مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْوَقْتِ. وَيَجْعَلُ لِلأُمُورِ الأُخْرَى نَوَافِلَ وَقْتِهِ، فَيَشْتَغِلُ بِقَدْرِ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُقْبِلُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: (**فِي التَّحْقِيقِ**): التَّحْقِيقُ هُوَ التَّدْقِيقُ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ.

وَهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ فِيهِ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ مُتَشَابِهَةٌ، إِذَا لَمْ يُدَقِّقْ فِيهَا طَالِبُ الْعِلْمِ رُبَّمَا يَغْلَطُ، وَرُبَّمَا يَضِلُّ.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَدْعُوَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَثِيرًا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فَالتَّحْقِيقُ هُوَ ثَمَرَةُ الْجِدِّ وَالإِخْلَاصِ وَالاتِّبَاعِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

يَبْدَأُ بَعْضُ الطُّلَّابِ يُرِيدُ أَنْ يُحَقِّقَ مَسْأَلَةً فَيَجِدُ نَوْعًا مِنَ الصُّعُوبَةِ فَيَنْقَطِعُ؛ أو يَكسلُ.

فأَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْجِدِّ والِاسْتِمْرَارِ، تَسْتَمِرُّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وثَانِيًا: تَسْتَمِرُّ فِي الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَالتَّثَبُّتِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، فَتَبْحَثُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ مَرْضِيَّةٍ وصَحِيحَةٍ.

فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يُحَقِّقْ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ يَبْقَى هَشًّا فِي عِلْمِهِ، وَيُكْثِرُ مِنْهُ الأَخْطَاءِ، لَا سِيَّمَا إِذَا تَصَدَّرَ بِسُرْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ قِلَّةِ التَّحْقِيقِ وَسُرْعَةِ التَّصَدُّرِ، وَهَذَا هُوَ بَابُ الْهَلَاكِ.

وبِالْمُقَابِلِ الْكَسَلُ وَالتَّشَتُّتُ أَصْلُ الْحِرْمَانِ.

وَالنَّاسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى أَرْبَعِ طَرَائِقَ:

الأَوَّلُ: مَنْ هُوَ صَاحِبُ جِدٍّ، وَأَيْضًا يَسِيرُ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى التَّحْقِيقِ.

الثَّانِي: مَنْ هُوَ صَاحِبُ جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، لَكِنَّهُ يَسِيرُ عَلَى الطَّرِيقِ الخَطَأِ؛ لَا يَقْرَأُ الْكُتُبَ مُرَتَّبَةً أَوْ لَا يُحَقِّقُ فِي الْمَسَائِلِ وَيَسْتَمِرُّ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَخْطَاءِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ كَسَلٍ مَثَلًا وَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، فَهَذَا وَإِنْ كَانَ عَلَى خَيْرٍ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةِ التَّحْقِيقِ.

وَالرَّابِعُ: مَنْ عِنْدَهُ كَسَلٌ وَعَدَمُ جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وهوَ عَلَى الطَّرِيقِ الخَطَأِ، وَهَذَا أَقَلُّ الأَرْبَعِ نَصِيبًا.

وَقَدْ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ فِي اللَّامِيَّةِ: "اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ" ثُمَّ ذَكَرَ الثَّمَرَةَ فَقَالَ: "لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ". فَالتَّحْقِيقُ شَبِيهٌ فِي الْمَعْنَى بِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ؛ أَنْ يَرْسَخَ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ فِي الْقَلْبِ فيثْمِرَ الثباتَ.

والتَّحْقِيقُ يَتَطَلَّبُ مِنْكَ:

أَوَّلًا: الِاعْتِنَاءُ بِعُلُومِ الآلَةِ وَاتْقَانُهَا، لَا تَتَقَفَّزُ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ دُونَ اتْقَانٍ.

ثَانِيًا: حِفْظُ عَدَدٍ مِنَ الْمُتُونِ فِي كُلِّ فَنٍّ، أَقَلُّ الْقَلِيلِ أَنْ تَحْفَظَ فِي كُلِّ فَنٍّ مَتْنًا.

ثَالِثًا: الدِّرَاسَةُ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ حَقَّقُوا الْمَسَائِلَ، فَيَسُوقُونَهَا إِلَيْكَ مُحَقَّقَةً مُدَقَّقَةً مُتْقَنَةً.

فَمَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ أَنْ يَدْرُسَ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فَلْيَقْرَأْ فِي كُتُبِهِمْ، وَلْيَتَعَلَّمْ عَلَى مَنْ تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

رَابِعًا: مُحَاوَلَةُ الِاسْتِقْصَاءِ فِي بَحْثِ الْمَسَائِلِ قَبْلَ الْحُكْمِ عَلَيْهَا، فَيَصِلُ إِلَى الْحُكْمِ عَنْ طَرِيقِ بَحْثٍ مُتْقَنٍ.

خَامِسًا: الِاسْتِمْرَارُ عَلَى هَذَا الْحَالِ لِزَمَنٍ طَوِيلٍ؛ فَالتَّحْقِيقُ لَا يَأْتِي فِي عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا، أَوْ سَنَتَيْنِ أَوْ خَمْسٍ أَوْ عَشْرٍ؛ التَّحْقِيقُ يَحْتَاجُ إِلَى زَمَنٍ طَوِيلٍ، حَتَّى تَصِيرَ عَالِمًا مُحَقِّقًا، لَابُدَّ أَنْ تَبْذُلَ عُمْرًا طَوِيلًا.

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُحَقِّقُ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الأَشْغَالِ، بَلْ يَسْتَمِرُّ وَسَيَأْتِي اللهُ بِالْخَيْرِ.

سَادِسًا: الْفَهْمُ السَّدِيدُ، وَهَذَا عَطَاءٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَوْفِيقٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا وَلَكُمُ الإِخْلَاصَ وَالْفَهْمَ السَّدِيدَ.



[الْحِرْصُ عَلَى تَطْبِيقِ العلمِ]

وَقَوْلُهُ: (**وَثَالِثًا فَاحْرِصْ عَلَى التَّطْبِيقِ**)؛ أَيْ: مِنَ الأَدَبِ الْعَظِيمِ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ؛ فَالْعَمَلُ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ وَبَرَكَتُهُ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾.

القولُ سهلٌ، وأمرُ الناسِ سهلٌ، ولكنْ كيفَ العملُ؟!

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

وضَرَبَ آخرُ مَثَلًا لمن يعلمُ غيرَه ويهملُ نفسَهُ فَقَالَ:

كَفَتِيلَةِ الْمِصْبَاحِ تُحْرِقُ نَفْسَهَا ... وَتُضِيءُ لِلأَعْشَى وَأَنْتَ كَذَاكَ

وهَذَا الْبَيْتُ مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثٍ يُحَسِّنُهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السِّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ، وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ).

وَلِأَنَّ الْعَمَلَ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ؛ فَالْعِلْمُ أَيْسَرُ مِنَ الْعَمَلِ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ».

وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تعالى مَثَلًا لِمَنْ يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ، قَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾؛ نَسْأَلُ اللهَ تعالى السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَقَدْ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ . وَمَعْنَى الآيَةِ: لَا تَدَّعُوا أَكْثَرَ مِمَّا تَفْعَلُوا؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَعْمَلُ كَثِيرًا لَكِنَّهُ يَتَمَنَّى أَكْثَرَ، فَكَيْفَ الحَالُ بِمَنْ لَا يَعْمَلُ أَوْ عِنْدَهُ عَمَلٌ قَلِيلٌ، أَوْ عَمَلُهُ مَشُوبٌ بِنَوَاقِصَ وَقَوَاطِعَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ؟! نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

****

[الإكثارُ من الجلوسِ في المساجد]

٤	وَرابِعًــــا أَنْ تَــــأْلَفَ المَسَــــاجِدَا	وَصَــاحِبِ الْحَبْــرَ الْكَــرِيمَ الْمَاجِــدَا

الشرح:

فِي هَذَا البَيْتِ أَدَبَانِ عَظِيمَانِ:

الأَدَبُ الأَوَّلُ (وهو الرابع) : أَنْ تَأْلَفَ المَسَاجِدَ:

وَالتَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: (تَأْلَفَ) مِنَ الأُلْفَةِ، وَالأُلْفَةُ إِنَّمَا تَأْتِي مِنْ طُولِ الصُّحْبَةِ؛ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِطَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَلْزَمَ المَسْجِدَ قَدْرَ المُسْتَطَاعِ؛ بِمَعْنَى: أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الحِفَاظِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْرِصَ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ أَنْ يَبْقَى فِي المَسْجِدِ وَأَنْ يُرَاجِعَ القُرْآنَ الكَرِيمَ؛ فَإِنَّ المَسَاجِدَ فِيهَا بَرَكَةٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَيَحْرِصُ أيضًا عَلَى البَقَاءِ فِي المَسْجِدِ لِلتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ؛ فَإِنَّ الشرعَ قَدْ حَثَّ عَلَى البَقَاءِ فِي المَسْجِدِ، وَالغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ إِلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّعَلُّمِ، وَالأَدِلَّةُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ:

مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٨].

وِمنَ السنةِ: وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ: يَا أَخِي، عَلَيْكَ بِالْمَسْجِدِ فَالْزَمْهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ) وفي رواية: (الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ مُؤْمِنٍ) رواه الطبراني وصححه الألباني.

وحَدِيثُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، قَالَ: «... وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه.

وحَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ مُعْتَمِرٍ تَامِّ الْعُمْرَةِ، فَمَنْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ فَلَهُ أَجْرُ حَاجٍّ تَامِّ الْحِجَّةِ» أَخْرَجَهُ الطبرانيُّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

الغُدُوُّ إِلَى المَسْجِدِ لِتَعَلُّمِ آيَةٍ خَيْرٌ مِنْ نَاقَةٍ، وَلَكَ أَنْ تَقُولَ: خَيْرٌ مِنْ سَيَّارَةٍ.
لَكِنْ لِأَنَّ أَجْرَ العِلْمِ غَيبيٌّ أُخْرَوِيٌّ، يَمِيلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الأُجُورِ العَاجِلَةِ.
وَالدِّرَاسَةُ فِي البُيُوتِ وَالاِسْتِرَاحَاتِ فِيهَا خَيْرٌ، لَكِنْ لَيْسَتْ كَالمَسَاجِدِ؛ فَالمَسَاجِدُ لَهَا حُرْمَتُهَا وَهَيْبَتُهَا بِخِلَافِ الاِسْتِرَاحَاتِ وَالمَدَارِسِ وَالجَامِعَاتِ.
وَإِذَا لَاحَظْتَ طُلَّابَ العِلْمِ الَّذِينَ يَعْتَنُونَ بِالدِّرَاسَةِ فِي المَسَاجِدِ سَوَاءً كَانُوا مِنْ طُلَّابِ المَدَارِسِ وَالجَامِعَاتِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ تَجِدُ أَنَّهُمْ مُمَيَّزُونَ فِي آدَابِهِمْ، وَفِي عِلْمِهِمْ أَيْضًا وَفِي رَغْبَتِهِمْ وَهِمَّتِهِمْ؛ فَهُمْ فِي الجملةِ خَيْرٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ يَقْتَصِرُونَ فِي الدِّرَاسَةِ عَلَى الجَامِعَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ جَامِعَاتٍ إِسْلَامِيَّةً.
وفي الأَثَرِ: عَنِ الأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: «خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لُزُومُ الجَمَاعَةِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَعِمَارَةُ المَسْجِدِ، وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِيُّ فِي شَرْحِ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وسنده صحيح.
ولَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَحْرِصُونَ عَلَى إِحْيَاءِ المَسَاجِدِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
أَيْضًا، الَّذِي يَدْرُسُ فِي المَسْجِدِ يَخْرُجُ غالبًا وَعِنْدَهُ هِمَّةٌ لِلدَّعْوَةِ وَنَشْرِ الخَيْرِ، وَذَاكَ الَّذِي يَقْتَصِرُ عَلَى الجَامِعَاتِ كثيرٌ مِنهمْ يُحْرَمُ مِنْ هَذِهِ الهِمَّةِ وَيَسْتَبْدِلُهَا بِهِمَّةِ الوَظِيفَةِ.
وَانْظُرْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ الَّذِينَ تَخَرَّجُوا مِنَ الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا كَجَامِعَةِ الإِمَامِ؛ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الدِّرَاسَةِ عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مُقْتَصِرًا عَلَى الجَامِعَةِ؛ تَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا كَبِيرًا؛ يَرْجِعُ ذَاكَ الَّذِي دَرَسَ فِي المَسْجِدِ إِلَى بَلَدِهِ وَيَسْعَى فِي التَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ وَالخَيْرِ، وَالآخَرُونَ يَرْجِعُ بعضُهم يَحْرِصُ عَلَى البَحْثِ عَنْ وَظِيفَةٍ، ويُهْمِلُ الدعوةَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ ذَكَرُوا لِلْعُمْرَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالُوا: هَلْ دَرَسْتَ فِي الجَامِعَةِ؟ فَقَالَ: «دَرَسْتُ فِي الجَامِعِ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى». يَعْنِي لَيْسَ الجَامِعُ كَالجَامِعَةِ.

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِنْ لَطَائِفِ القَوْلِ إِلَّا أَنَّهُ صَحِيحٌ، لَيْسَ الجَامِعُ كَالجَامِعَةِ، هُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ.

وبعضُ متخرجي الجامعةِ يكونون أقوياءَ وينفعُ اللهُ بهم كثيرًا.

وبَعْضَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ فِي المَسْجِدِ إِذَا لَمْ يَهْتَمُّوا وَيَعْتَنُوا بِالعِلْمِ جَيِّدًا قَدْ يَكُونُوا ضُعَفَاءَ؛ فَلَيْسَ المَعْنَى أَنْ تَدْرُسَ فِي المَسْجِدِ وَكَفَى، بَلْ لَا بُدَّ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الجِدِّ وَالاِجْتِهَادِ.

❋❋❋❋

[ملازمةُ العلماءِ الكبارِ]

الأَدَبُ الخامس: مُلَازَمَةُ العَالِمِ الكَبِيرِ.

قوله: (**وَصَاحِبِ الحَبْرَ الكَرِيمَ المَاجِدَا**) الصُّحْبَةُ كَثْرَةُ المُلَازَمَةِ، وَالمَعْنَى: أَكْثِرْ مِنْ مُلَازَمَةِ العَالِمِ الكَبِيرِ، فالحَبْرُ: يَعْنِي العَالِمَ الكَبِيرَ؛ فَإِنَّ العُلَمَاءَ عِنْدَهُمْ رُسُوخُ العِلْمِ وَالتَّحْقِيقُ فِيهِ، وَعِنْدَهُمْ أَيْضًا العَقْلُ وَالحِكْمَةُ؛ فَمَنْ يَصْحَبُهُمْ يَجِدْ خَيْرًا كَثِيرًا بِإِذْنِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الكَرِيمُ: كَرِيمٌ فِي نَفْسِهِ، وَمِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ بَاذِلٌ لِعِلْمِهِ وَنُصْحِهِ.

المَاجِدُ: صَاحِبِ الأَوْصَافِ الرَّفِيعَةِ وَالفَضَائِلِ الكَثِيرَةِ، وَالَّتِي مِنْ أَفْضَلِهَا وَأَعْظَمِهَا التَّوْحِيدُ وَالسُّنَّةُ.

فَيَسْتَفِيدُ الطَّالِبُ مِنْ شَيْخِهِ العِلْمَ وَالعَمَلَ وَالهَدْيَ وَالسَّمْتَ، وَيَتَأَثَّرُ بِذَلِكَ كَثِيرًا.

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ تَرَى عَلَيْهِ آثَارَ شَيْخِهِ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ المُلَازَمَةِ تَأَثَّرَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى فِي الصَّحِيحَيْنِ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ كَحَامِلِ المِسْكِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً...».

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ يَأْتُونَ بَعْضَ المَشَايِخِ لَيْسَ بِقَصْدِ التَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا بِقَصْدِ الاِسْتِفَادَةِ مِنْ هَدْيِهِمْ وَسَمْتِهِمْ وَحِكْمَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ فَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ عِنْدَ هَذَا الصِّنْفِ فَإِنَّهُ يَجِدُ خَيْرًا كَثِيرًا.

وَالشَّيْخُ يُؤَثِّرُ فِي الطَّالِبِ؛ فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ عِنْدَهُ مِنَ التَّقْوَى وَالوَرَعِ وَالخَيْرِ لَكِنْ تَجِدُ عِنْدَهُ بِدَعًا كَثِيرَةً؛ وَالسَّبَبُ أَنَّهُ تَلَقَّى عَنْ مَشَايِخَ مُبْتَدِعَةٍ.

فَلَوْ قَرَأْنَا مَثَلًا فِي سِيرَةِ (النَّوَوِيِّ) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ وَالوَرَعِ وَالتَّقْوَى، لَكِنْ فِي بَابِ توحيدِ الصِّفَاتِ عِنْدَهُ أَخْطَاءٌ كَثِيرَةٌ.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ تَلَقَّى هَذِهِ الأَشْيَاءَ عَنْ مَشَايخِهِ، وَرَسَخَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّعَ فِي العِلْمِ لَمْ تَرْتَفِعْ تِلْكَ الشُّبَهُ عَنْهُ -مَعَ ظَنِّنَا بِهِ أَنَّهُ كانَ حَرِيصٌ عَلَى الحَقِّ.

وَهَذَا يُصَدِّقُهُ مَا قَالَهُ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَا تُجَالِسْ مُبْتَدِعًا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يُلْقِيَ شُبْهَةً تَقَعُ فِي قَلْبِكَ فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ».

وعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَا أَيُّوبُ لَا تُمَكِّنْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ سَمْعَكَ فَيُغَيِّرُوا قَلْبَكَ.

عن مَعْمَرٍ ، قَالَ: كَانَ طَاوُسٌ جَالِسًا ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، قَالَ: «فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ»، قَالَ: فَأَدْخَلَ طَاوُسٌ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا. قَالَ مَعْمَرٌ: «يَعْنِي: أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ».

يَـجُرُّكَ الْمُبْتَدِعُ بِشُبَهٍ كَثِيرَةٍ لَا سِيَّمَا مَعَ طُولِ الدِّرَاسَةِ حَتَّى تَرْسَخَ تِلْكَ البِدَعُ فِي القَلْبِ، وَيَعْجَزَ صَاحِبُهَا أَنْ يُقْنِعَ نَفْسَهُ بِأَنَّهَا بَاطِلٌ.

فَالدِّرَاسَةُ عِنْدَ أَهْلِ البِدَعِ سُمٌّ زُعَافٌ، وَمَرَضٌ قَتَّالٌ، وَدَاءٌ عُضَالٌ؛ فَالحَذَرَ الحَذَرَ؛ لَأَنْ يَبْقَى الإِنْسَانُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدِّرَاسَةِ عِنْدَ الْمُبْتَدِعَةِ، وَلَوْ درسَ (قُرْآنًا كَرِيمًا).

انْظُرْ إِلَى الطَّوَائِفِ الْمُبْتَدِعَةِ كيفَ أَقْبَلَتْ عَلَى تَعْلِيمِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ فَيَتَخَرَّجُ الطُّلَّابُ وَقَدْ صَارُوا مُتَعَصِّبِينَ لِهَذِهِ الفِئَاتِ الضَّالَّةِ: صُوفِيَّة، وَحِزْبِيَّة إِخْوَانِيَّة، أَشْعَرِيَّة إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْفَعَ الشَّرَّ عَنا وعنِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.



[الوقار والأناة]

٥	وَسَادِسًا فَكُنْ وَقُورًا وَاتَّئِدْ	كُنْ ذَا أَنَاةٍ فِي الْأُمُورِ تَسْتَفِدْ

الشرح:

الأَدَبُ السَّادِسُ هُوَ: التَّحَلِّي بِالوَقَارِ وَالتُّؤَدَةِ.

الوَقَارُ: هُوَ الرَّزَانَةُ وَالحِلْمُ، وَضِدُّهُ الطَّيْشُ.

التُّؤَدَةُ: هِيَ الصَّبْرُ وَالتَّثَبُّتُ وَتَرْكُ العَجَلَةِ، وَضِدُّهَا الِاسْتِعْجَالُ وَالتَّلَقِّي دُونَ تَثَبُّتٍ.

والأناة بمعنى التؤدة.

وَالوَقَارُ وَالتُّؤَدَةُ مِنَ الأَخْلَاقِ المَحْمُودَةِ المَحْبُوبَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مَنْ تَخَلَّقَ بِهِمَا اسْتَفَادَ أربعَ فوائدَ فأكثر:

الأولى: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ هَذِهِ الأَخْلَاقَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا.

الثانية: أَنَّ النَّاسَ يُحِبُّونَهُ.

الثالثة: مَا تُثْمِرُهُ هَذِهِ الأَخْلَاقُ مِنَ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ.

الرابعة: النَّجَاةِ مِنَ العَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَهُ طَيْشُهُ! وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ حُرِمَ بِسَبَبِ عَجَلَتِهِ! وَلِذَلِكَ تَقُولُ العَرَبُ: «العَجَلَةُ أُمُّ النَّدَامَاتِ».

وَمِنَ الطَّيْشِ خِفَّةُ وَسُرْعَةُ القَوْلِ وَالحَرَكَةِ بِلَا مُسَوِّغٍ؛ يَتَكَلَّمُ قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ، وَيَفْعَلُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، ويتصرفُ بما لا يليقُ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَحَدِ الحُكَمَاءِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ حِكْمَةً، فَقَالَ الحَكِيمُ: «فَكِّرْ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ وَتَعْمَلَ».

وطَالِبُ العِلْمِ أَحَقُّ أَنْ يَتَّصِفَ بالصِّفاتِ الحَمِيدَةِ، كالتَّعَقُّلِ وَعَدَمِ التَّعَجُّلِ، سَوَاءً فِي أَخْلَاقِهِ أَوْ معاملاتِه، وغيرِ ذلكَ.

وفِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ؛ يحتاجُ أن يطلبَ العلمَ دونَ استعجالٍ؛ لِأَنَّ الْمُتَعَجِّلَ رُبَّمَا يُحْرَمُ مِنَ الفَهْمِ السَّدِيدِ وَالتَّحْقِيقِ.

مَنْ تَعَجَّلَ التَّصَدُّرَ فَهُوَ سَرِيعُ السُّقُوطِ.

والقَاعِدَةُ: «مَنْ تَعَجَّلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِهِ».

و«حُبُّ الظُّهُورِ يَقْصِمُ الظُّهُورَ».

وَتَتَأَكَّدُ أَهَمِّيَّةُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ عِنْدَ الفِتَنِ وَالخُصُومَاتِ؛ فَأَنْتَ فِي هَذِهِ الأَحْوَالِ أَحَقُّ أَنْ تَكُونَ ذَا حِلْمٍ وَتَأَنٍّ وَتَرَوٍّ وَتَثَبُّتٍ.

فَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ تَلَقَّاهَا بَعْضُ طَلَبَةِ العِلْمِ وَنَشَرُوهَا شَرْقًا وَغَرْبًا، لَا سِيَّمَا بَعْدَ وُجُودِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَالإِنْتَرْنِتِ.

وَلَيْسَ الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ بِلَا حِلْمٍ، وَإِنَّمَا الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَحِلْمُكَ مَعًا.

وَالفِتَنُ الَّتِي فِي السَّاحَةِ اليَوْمَ والتي أَدَّتْ إِلَى تَفَرُّقٍ كَبِيرٍ فِي الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهَا: الطَّيْشُ، وَعَدَمُ التَّثَبُّتِ، وَالعَجَلَةُ، وَالغَضَبُ، وَالاِنْتِصَارُ لِلنَّفْسِ.

وقد أدتْ إلى فرقةٍ كبيرةٍ لم يحصلْ مثلُها منذُ بُعِثَ النبيُّ ﷺ.



[التَّرَفُّعُ عَنِ السَّفَاسِفِ]

٦	وَسَابِعًا فَكُنْ بِهِ مُرْتَفِعَا	عَنْ كُلِّ سَفْسَافٍ يُثِيرُ السُّمَعَا

الشرح:

الأَدَبُ السَّابِعُ: أَنْ يَتَرفَّعَ الإِنْسَانُ عَنْ سَفَاسِفِ الأُمُور.

(**فَكُنْ بِهِ مُرْتَفِعَا**) فطَالِبُ العِلْمِ فِي مَقَامٍ عَالٍ، فَلَا يُدَنِّي نَفْسَهُ إِلَى الأُمُورِ الدَّنِيئَةِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَرَفَّعَ إلى الأفضلِ؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المُجَادَلَة: ١١].

فَالرِّفْعَةُ بِالعِلْمِ إِنَّمَا جَاءَتْ بِسَبَبِ التَّرَفُّعِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الشِّرْكِ وَالبِدَعِ وَالمُحَرَّمَاتِ.

فمنْ عندَهُ علمٌ وهوَ يمارسُ الشركَ فهذا لا يرفعُهُ العلمُ، كأَحْبَارُ اليَهُودِ: كَانَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَرَفَّعُوا عَنِ البَاطِلِ والشركِ؛ فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ بقولِهِ: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجُمُعَة: ٥].

وكَمْ فِي النَّصارَى وَأَهْلُ البِدَعِ مِنْ عُلَمَاءَ وَأَصْحَابِ مُؤَلَّفَاتٍ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَرَفَّعُوا بِالعِلْمِ لِانْغِمَاسِهِمْ فِي الضَّلَالَةِ وَالسَّفَاسِفِ والَّتِي مِنْ أَخْبَثِهَا الشِّرْكُ وَالبِدَعُ.

وِمن إِهَانَةُ العِلْمِ: أَنْ يَجْعَلَ العِلْمَ سُلَّمًا لِلدُّنْيَا؛ كَأَنْ يَقُولَ عِنْدَ الشِّرَاءِ: (أَعْطُونِي برخُصٍ أَنَا طَالِبُ عِلْمٍ)، أَوْ (خَفِّضُوا لِي فَأَنَا طَالِبُ عِلْمٍ)، أَوْ (أَقْرِضُونِي أَلَا تَثِقُونَ بِي وَأَنَا طَالِبُ عِلْمٍ).

فَهَذَا لَا يَتَرَفَّعُ بِالعِلْمِ بَلْ يُهِينُهُ وَيَرْضَى لِنَفْسِهِ المَهَانَةَ.

وكذلكَ يجتنبُ طالبُ العلمِ التصرفاتِ التي تكونُ من خَوارِمِ المُرُوءَةِ: والَّتِي تُؤَدِّي إِلَى القَدْحِ فِيهِ، أَمَّا قَدْحُ النَّاسِ بِالبَاطِلِ فَلَا يُبَالِي بِهِ.

وجَاءَ فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -مَرْفُوعًا-: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ.

والتَّرَفُّعُ عَنِ الدَّنَاءَاتِ يَجْلِبُ الهَيْبَةَ بِإِذْنِ الله تعالى، وَيَزْرَعُ المَوَدَّةَ فِي قُلُوبِ الآخَرِينَ لِطَالِبِ العِلْمِ؛ بِخِلَافِ مَنْ كَانَتْ تَصَرُّفَاتُهُ بَعِيدَةً عَنِ المُرُوءَةِ، فَلَا هَيْبَةَ لَهُ، وَرُبَّمَا يُسْتَخَفُّ بِعِلْمِهِ تَبَعًا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ غَيْرِ اللَّائِقَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاحَ الحَالِ وَالمَآلِ.

****

[الابتِعادُ عَنْ صُحبَةِ الأَشْرَارِ]

٧	وَثَامِنًا دَعْ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ	فَإِنَّهَا عَارٌ عَلَى الْأَخْيَارِ

الشرح:

الأَدَبُ الثَّامِنُ هُوَ: الِابْتِعَادُ عَنْ صُحْبَةِ الأَشْرَارِ.

قوله: (**دَعْ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ**): والأشرارُ لهمْ صفاتٌ كثيرةٌ، ويُمْكِنُ إِجْمَالُهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: أَهْلُ الشِّرْكِ، وأَهْلُ البِدَعِ، وأَهْلُ الكَبَائِرِ المُجَاهِرُونَ بِهَا.

أَمَّا مَنْ أَخْطَأَ المَرَّةَ وَالمَرَّاتِ وَبَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ؛ فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الأَشْرَارِ.

وحَذَّرَكَ النَّاظِمُ مِنْ كَثْرَةِ المُجَالَسَةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِلَفْظِ (الصُّحْبَةِ)؛ فَلَا يَكُنْ جَلِيسُكَ وَصَدِيقُكَ المُقَرَّبُ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ.

أَمَّا مُجَرَّدُ المَعْرِفَةِ العَامَّةِ أَوِ اللِّقَاءِ النَّادِرِ لا سيمَا لِلنُّصْحِ أَوْ لِإِنْكَارِ المُنْكَرِ فَلَا بَأْسَ بِهِ.

قوله: (**فَإِنَّهَا عَارٌ عَلَى الْأَخْيَارِ**) مَدْعَاةٌ لِذَمِّ النَّاسِ لهُ، وَنِسْبَتِهِ إِلَيْهِمْ، وقد يؤثِّرونَ عليهِ، واقرأ ما ذكرَهُ اللهُ تعالى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ كَانَ لَهُ قَرِينٌ مِنَ الأَشْرَارِ: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ٥٦-٥٧]؛ أَيْ: بِسَبَبِ سَيْرِي مَعَكَ كُنْتُ سَأَهْلِكُ، إلا أنَّ اللهَ تعالى تداركَهُ برحمتِهِ وأبعدَهُ عنهُ.

وقد يساءُ بهِ الظنُّ بسببِ المجالسَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ مَالِكِ ابْنِ الدُّخْشُمِ حِينَ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: "إِنَّهُ مُنَافِقٌ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَيْسَ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» وأنكرَ عليهم. وَكَانَ سَبَبُ قَدْحِهِمْ فِيهِ قَوْلَـهُمْ: "إِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى المُنَافِقِينَ"، معَ أنهم لم يصيبوا في الحكمِ عليهِ، رضي الله عنهم جميعًا.

والتَّأَثُّرُ بِالفِكْرِ يقعُ بسببِ المجالسةِ: كَمَا حَدَثَ لِـ (عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ) الَّذِي تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الخَوَارِجِ لِيَرُدَّهَا إِلَى السُّنَّةِ، فَأَثَّرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ مِنْ رُؤُوسِ الخَوَارِجِ.

وَمَدَحَ قَاتِلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأبياتٍ، ووصفَه بالتَّقي.

والشُّبَهُ خَطَّافَةٌ، وَالقُلُوبُ ضَعِيفَةٌ.

وقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: «مَنْ خَفِيَتْ عَلَيْنَا بِدْعَتُهُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا أُلْفَتُهُ».

وَقَالَ الشاعرُ:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي



[القناعة كنز]

٨	وَتَاسِــعًا عَــدِّ عَــنِ الْأَطْمَــاعِ	وَاقْنَــعْ بِمَــا يَكْفِيــكَ لِلْمَتَــاعِ

الشرح:

الأَدَبُ التَّاسِعُ هُوَ: القَنَاعَةُ وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مَطَامِعِ الدُّنْيَا.

والقناعةُ كنزُ الحاضرِ، وراحةُ المستقبَلِ.

قوله: (**عَدِّ**) أَيْ: تَجَاوَزْ وَتَنَزَّهْ.

(**الأَطْمَاعُ**) مَتَاعُ الدُّنْيَا الزَّائِدُ عَنِ الحَاجَةِ، أَوِ الَّذِي يَشْغَلُ عَنِ الآخِرَةِ.

وعلى هذا لا يدخلُ في الأطماعِ ما لابد منه من الحلالِ، كزوجةٍ، وبيتٍ تسكنُهُ، وقوتٍ يغنيكَ عن الناسِ.

(**وَاقْنَعْ**) القَنَاعَةُ: هِيَ كَفُّ النَّفْسِ عَنْ فُضُولِ الدُّنْيَا، وَالرِّضَا بِمَا يَكْفِي.

وهيَ: الرضا بما تيَسَّرَ، وتركُ ما يلهي ويَشغلُ.

والزُّهدُ أيضًا هو: تركُ ما يشغلُ عن الآخرةِ، وهو من ثمراتِ القناعةِ.

(**بِمَا يَكْفِيكَ لِلْمَتَاعِ**) يكفيكَ من الدنيا ما يؤدي الغرضَ، وفرغْ ما تيسرَ من وقتِكَ للعلمِ.

طَالِبُ العِلْمِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُنَافِسًا لِأَصْحَابِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ التَّوَسُّعَ فِيهَا يَكُونُ عَلَى حِسَابِ العِلْمِ وَالفَهْمِ وَرَاحَةِ البَالِ، لأنَّ الإقبالَ على الدنيا يأخذُ الوقتَ، فالتوسعُ فيهِ مضيعةٌ لطالبِ العلمِ.

فَلَا نَقُولُ "اتْرُكِ الدُّنْيَا"، وَلَكِنْ خُذْ مِنَ الحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ وَلْيَكُن لَكَ وَقْتٌ وَافِرٌ لِطَلَبِ العِلْمِ.

وكَانَ السَّلَفُ يَعْمَلُونَ بِمَا يُؤَدِّي الغَرَضَ، فَمِنْهُمُ الزَّيَّاتُ، وَالتَّاجِرُ، وَالجَزَّارُ، وَالخَرَّازُ،... وَيُفَرِّغُونَ بَاقِي أَوْقَاتِهِمْ لِلْعِلْمِ.

جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ومن ثَمَرَةُ القَنَاعَةِ: تَفْرِيغُ القَلْبِ لِلْعِلْمِ، والبُعْدُ عَنِ الحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، وسَلَامَةُ القَلْبِ مِنْ طُولِ الأَمَلِ وَالطَّمَعِ.

كَمْ مِنْ شَخْصٍ طَلَبَ العِلْمَ ثُمَّ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فِي الدُّنْيَا، من بِنَاءِ بَيْتٍ، تِجَارَةٍ...، ثم ماذا؟!

قَالَ: سَأَعُودُ للتفرغِ للعلمِ. فَذَهَبَ وَلَمْ يَرْجِعْ إلا بعدَ مدةٍ يشكُو من غَرَقِهِ فِي الدُّيُونِ وَمَشَاغِلِ الدُّنْيَا.

فنَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُقَنِّعَنَا بِالخَيْرِ وَالحَلَالِ وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العظيم.



[مُرَاقَبَةُ اللهِ تعالى]

٩	وَالْبَسْ حَيَاءً مِنْ وَلِيِّ نِعْمَتِكْ	أَنْ لَا يَرَى مَكْرُوهَهُ فِي خَلْوَتِكْ

الشرح:

الأَدَبُ العَاشِرُ: مُرَاقَبَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالخَلَوَات.

مُرَاقَبَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السِّرِّ وَالخَلَوَاتِ، وَالحَيَاءُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهَذِهِ الصِّفَةُ يَحْتَاجُها طَالِبُ الْعِلْمِ خُصُوصًا، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لَازِمَةً لَهُمْ.

(**وَالْبَسْ**) أَشَارَ النَّاظِمُ بِهَذَا الملازَمَةِ، أَيْ: لِيَكُنِ الحَيَاءُ وَالْمُرَاقَبَةُ صِفَةً لَكَ مُلَازِمَةً كَمُلَازَمَةِ المَلَابِسِ لَكَ.

وَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الحَيَاءَ وَالْمُرَاقَبَةَ فَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ كَثِيرًا.

(**حَيَاءً**) الحياء: خُلُقٌ يحملُ على تَركِ القَبائحِ والمعاصي.

(**مِنْ وَلِيِّ نِعْمَتِكْ**) هذا مما يُشَجِّعُ عَلَى هَذِهِ المُرَاقَبَةِ، أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ وَلِيُّ نِعْمَتِكَ، هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ؛ فَلَا يَنبغي أَنْ يَرَاكَ أَنْتَ تَسْتَخْدِمُ النِّعْمَةَ فِي مَعْصِيَتِهِ، يَرَاكَ أَنَّكَ تُمَارِسُ المَكْرُوهَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ فِي خَلَوَاتِكَ.

فَذُنُوبُ الخَلَوَاتِ قَدْ تَحْرِمُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ لَذَّةِ الْعِلْمِ وَمِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، والشَّخْصُ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ حِينَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الحَالِ.

وَرُبَّمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ -وَلَوْ لَمْ يَعْرِفُوا السَّبَبَ- عَدَمُ مَحَبَّةٍ لِهَذَا الشَّخْصِ؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ تعالى يَقْذِفُ فِي قُلُوبِ العِبَادِ كُرْهَ هَذَا الشَّخْصِ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

وَلِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»، فَالْإِنْسَانُ يَحْرِصُ عَلَى هَذَا الدُّعَاءِ كَثِيرًا.

وَالحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالَ ﷺ: «اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ» رواه أبو داود.

وَمِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ اسْتِعْمَالُهَا فِي الطَّاعَةِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تعالى الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ أَمَامَ النَّاسِ الصَّلَاحَ، وَفِي الخَفَاءِ يَكُونُونَ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٨]؛ أَيْ: يَعْلَمُ حَالَـهُمْ.

وَالحيَاءُ من قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالتَّعْظِيمِ للهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِذَا زَادَ الْإِيمَانُ زادَ الحَيَاءُ، وَإِذَا نَقَصَ الْإِيمَانُ نَقَصَ الحَيَاءُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُرَدِّدُ هَذَينِ الْبَيْتَيْنِ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ

وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ فِي هَذَا مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا».



[اتباعُ السنةِ واجتنابُ البدعة]

١٠	وحَادِيًـا مِـنْ بَعْـدِ عَشْـرٍ فَـاتَّبِعْ	نَبِيَّنَـا وَامْقُـتْ لِكُـلِّ مُبْتَـدِعْ

الشرح:

الْأَدَبُ الحَادِي عَشَرَ: اتباعُ السنة والمنهج السلفي واجتنابُ البدعة وأهلِها.

(**فَاتَّبِعْ**) الِاتِّبَاعُ: مُوَافَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالِابْتِدَاعُ: مُخَالَفَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣]، وَ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: الآية ٧].

فَالِاتِّبَاعُ أَسَاسٌ، فَعَمَلٌ لَا اتِّبَاعَ فِيهِ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ولَا أَجْرَ فِيهِ، وَرُبَّمَا كَانَ إِثْمًا وَضَلَالَةً، وَرُبَّمَا جَرَّ صَاحِبَهُ إِلَى النَّارِ؛ فَإِنَّ «كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وعِنْدَ النَّسَائِيِّ: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»؛ أَيْ: صَاحِبُهَا مُتَوَعَّدٌ بِالنَّارِ.

(**وَامْقُتْ**) المَقْتُ: المَقْتُ هُوَ أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْبُغْضِ الِابْتِعَادُ عنهم.

(**لِكُلِّ مُبْتَدِعْ**) جَمِيعِ الْمُبْتَدِعَةِ؛ كُنْ مُبْغِضًا لَـهُمْ، مُجَانِبًا لِمَجَالِسِهِمْ وَحَلَقَاتِهِمْ وَدُرُوسِهِمْ، وَسَمَاعِ خُطَبِهِمْ وَمُحَاضَرَاتِهِمْ، ولَا تُصَلِّ حَتَّى فِي مَسَاجِدِهِمْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَسَاجِدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ مُجَالَسَةَ الزَّائِغِينَ تُزِيغُ الْقَلْبَ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ: «مَنْ جَالَسَ مُبْتَدِعًا أَزَاغَ اللهُ قَلْبَهُ».

وَقَالَ آخَرُ: «مَنْ وقَّرَ مُبْتَدِعًا فقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ».

وهَذَا صَحَّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السلَفِ عندَ اللالكائي ومنهم: والفضيلُ بنُ عياضٍ وإبراهيمُ بنُ مَيسرةَ وغيرُهما.

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، وبعدها: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧، ٩].

فالْمُبْتَدِعُ قَلْبُهُ فِيهِ زَيْغٌ؛ ومُجَالَسَتُهُ تُؤَثِّرُ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ -أَيْ: أُحَذِّرُكُمْ- وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ».

وَطَالِبُ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ؛ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا عُذْرًا أَنْ يَتَلَقَّى عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ؛ فَغَالِبُ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَقِيدَةِ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ دِرَاسَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبِدَعِ؛ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ فِي الْفِقْهِ، أَوْ فِي اللُّغَةِ.

فَأَهْلُ الْبِدَعِ لَا يُدَرِّسُونَ عَقَائِدَهُمْ مُبَاشَرَةً، إِنَّمَا يَبْدَأُونَ بِعُلُومٍ أُخْرَى، وَيَدُسُّونَ عَقَائِدَهُمْ خِلَالَ ذَلِكَ.

وَقَدْ تُسْتَثْنَى بَعْضُ الصُّوَرِ؛ كَأَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يُدَرِّسُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَكُونُ الَّذِي يَدْرُسُ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ بِهِمْ، فَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ -وَتَكُونُ أَيْضًا مَحْصُورَةً ضَيِّقَةً- لَا بَأْسَ.

وَفِي الْجُمْلَةِ: الْجَهْلُ خَيْرٌ مِنَ الدِّرَاسَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْبِدَعِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ التَّوْحِيدَ، والَّذِينَ يُخَالِفُونَ الْعَقِيدَةَ السَّلَفِيَّةَ.

وَهَذَا الْعِلْمُ دِينٌ؛ كما جَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.



[أدبُ اللباسِ والزِّينة]

١١	فِـــي أَدَبٍ والـــزِّيِّ وَاللِّبَـــاسِ	فَإِنَّـــهُ مِـــنْ صِـــفَةِ الْأَكْيَـــاسِ

الشرح:

الأدبُ الثَّانِي عَشَرَ: الِاتِّبَاعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ في أَدَبِ الزِّيِّ وَاللِّبَاسِ.

(**أَدَبٍ وَالزِّيِّ وَاللِّبَاسِ**) طَالِبُ الْعِلْمِ يَتَمَيَّزُ فِي زِيِّهِ وَلِبَاسِهِ وَسَمْتِهِ وَهَدْيِهِ، يَحْرِصُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي لِبَاسِهِ وَسَمْتِهِ مَا يُشْبِهُ الْفُسَّاقَ، أَوْ مَا يُشْبِهُ الْكُفَّارَ، أَوْ مَا يُشْبِهُ الْمُخَالِفِينَ، وَمَا فِيهِ مُشَابَهَةٌ لِلنِّسَاءِ أَيْضًا.

بلْ يَكُونُ لِبَاسُهُ مُشَابِهًا لِلِبَاسِ النَّبِيِّ ﷺ، مُوَافِقًا لِلْسُّنَّةِ؛ يَحْرِصُ عَلَى لُبْسِ الْقَمِيصِ، أَوِ الْإِزَارِ والرداءِ، وَالْعِمَامَةِ، وَيُفَضِّلُ الْبَيَاضَ كَثِيرًا.

وَيَحْرِصُ فِي لِبَاسِهِ عَلَى عَدَمِ الْإِسْبَالِ، وَيَتَجَنَّبُ لِبَاسَ الشُّهْرَةِ، وَيَحْرِصُ أَلَّا يَلْبَسَ شَيْئًا مُنِعَ مِنْ لِبَاسِهِ؛ كَالحَرِيرِ وَالذَّهَبِ.

وَيَحْرِصُ أنْ يَتَزَيَّنُ لِلْعِيدِ وَالْجُمُعَةِ بأحْسَنَ ما عندَهُ من غيرِ مبالغةٍ، وَيَحْرِصُ أَيْضًا عَلَى نَظَافَةِ ثِيَابِهِ؛ كُلُّ هَذَا كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ.

دلَّ على ذَلِكَ: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ) رواه أبو داود، والترمذي.

وَجَاءَ فِي الصحيحين مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ والبراءِ وغيرهما رضي الله عنهم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَلْبَسُ حُلَّةً. وَالْحُلَّةُ هِيَ: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ مِنْ لَوْنٍ وَاحِدٍ.

وكَانَ ﷺ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ، رواه أبو داود، والترمذي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها.

أَمَّا لِبَاسُ الْبَنْطَالِ: فَلَيْسَ مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَالشَّخْصُ إِنِ اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ لِأَمْرٍ أَوْ لِآخَرَ؛ فَلْيُحَاوِلْ أَلَّا يَتَوَسَّعَ فِي الضَّرُورَةِ.

وَقَوْلُهُ: (**فَإِنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْأَكْيَاسِ**) جَمْعُ كَيِّسٍ؛ وَهُوَ الذَّكِيُّ الحَازِمُ.

لَكِنْ هُنَا تَنْبِيهٌ: لَا يَنْبَغِي الْمُبَالَغَةُ فِي الزِّينَةِ؛ بَعْضُهُمْ حَرِيصٌ عَلَى إِصْلَاحِ مَلَابِسِهِ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، دَائِمًا تَرَاهُ مَشْغُولًا بِالْعِمَامَةِ، أَوْ بِالْقُلُنْسِةِ - هَذِهِ الطَّاقِيَّةِ - مَرَّةً يَمِيلُهَا إِلَى شِمَالٍ، مَرَّةً يَمِينَ، أَوْ يَشتغِلُ بِالشِّمَاغِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

عِنْدَهُ مُبَالَغَةٌ فِي الزِّينَةِ، وَدَائِمًا يَحْرِصُ عَلَى الْمُوضَاتِ، وَآخِرِ إِصْدَارٍ.

وهَذَا لَا يَلِيقُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ.

تَوَاضَعْ، ففِي حَدِيثٍ عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي اللهُ عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»، رواه أحمد وأبو داود.

ذَكَرُوا فِي تَرْجَمَةِ أَحَدِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّكَبُّرِ، فَكَانَ إِذَا صَفَّ النَّاسُ يَصُفُّ وَحْدَهُ، يَتَأَفَّفُ أَنْ يَصُفَّ مَعَ النَّاسِ؛ فَلِهَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَجَنَّبُونَ سَمَاعَ الحَدِيثِ مِنْهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الصِّفَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَحَدِ الْمُحَدِّثِينَ، قَالَ: «وَكَانَ جَبَّارًا» يَعْنِي: كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ.

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.



[آداب التعامل مع الشيخ]

١٢	وَثَالِثًا مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ فَاحْتَرِمْ شَيْخًا فَمَنْ يُهِنْهُ كَمْ حَظًّا حُرِمْ

الشرح:

الْأَدَبُ الثَّانِي عَشَرَ: احْتِرَامُ الشَّيْخِ وَالْمُدَرِّسِ الَّذِي تَتَلَقَّى عَنْهُ الْعِلْمَ.

(**فَاحْتَرِمْ شَيْخًا**) احْتِرَامُ الشَّيْخِ وَالْمُدَرِّسِ الَّذِي تَتَلَقَّى عَنْهُ الْعِلْمَ؛ واحْتِرَامُ كِبَارِ السِّنِّ؛ مِنْ تَعْظِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»، رواه أَبو دَاوُدَ.

وَجَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ طَاوُوسٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: «مِنَ السُّنَّةِ تَوْقِيرُ أَرْبَعَةٍ: الْعَالِمِ، وَذِي الشَّيْبَةِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْوَالِدِ». هَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ احْتِرَامُهُمْ مِنْ دِينِنَا.

وَأَعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةً هُوَ الشَّيْخِ الَّذِي اسْتَفَدْتَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ شُكْرَ مَعْرُوفِهِ وَاجِبٌ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَنِ: ٦٠]، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٤٤].

وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ» رواه التِّرْمِذِيُّ؛ أَيْ مَنْ طَبْعُهُ لَئِيمٌ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ عَلَى مَعْرُوفِهِمْ فَذَاكَ أَيْضًا دَلِيلٌ أَوْ قَرِينَةٌ عَلَى أَنَّهُ قَلِيلُ الشُّكْرِ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَالسَّلَفُ مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِمْ -وَبَعْضُ الطَّلَبَةِ كَانَ أَجَلَّ مِنْ شَيْخِهِ- لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَلَّوْنَ بِالْأَدَبِ.

جَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ شُعْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا كُنْتُ لَهُ عَبْدًا»؛ أَيْ: كُنْتُ خَادِمًا لَهُ، يَتَوَاضَعُ لَهُ وَيَخْدُمُهُ.

(**فَمَنْ يُهِنْهُ كَمْ حَظًّا حُرِمْ**) يَجِبُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِمُوا الْعُلَمَاءَ وَالْمَشَايِخَ وَالْمُدَرِّسِينَ، وَيُظْهِرُوا تَقْدِيرَهُمْ وَإِجْلَالَهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ يُهِنْ مُعَلِّمَهُ أَوْ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُ يُحْرَمُ حَظًّا كَبِيرًا، يُحْرَمُ مِنَ الْأَدَبِ، وَيُحْرَمُ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعَالِمَ لَا يُحِبُّ أَنْ يُعَلِّمَ الطَّالِبَ الَّذِي يَرَى عَلَيْهِ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ.

لَكِنْ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ جَبَابِرَةً، عَمَلُهُمُ انْتِقَادُ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ، وَحَتَّى مَنْ يُدَرِّسُهُ، بَعْضُهُمْ يَجْلِسُ فِي الدَّرْسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَقِدَ: لِمَاذَا كَذَا؟ لِمَاذَا كَذَا؟ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ! هَؤُلَاءِ كَمَا كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُسَمِّيهِمُ الْعَمَالِقَةَ –أَيِ: الْجَبَابِرَةَ نِسْبَةً إِلَى الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، كَانُوا جَبَابِرَةً وَظَلَمَةً– فَبَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَصْبَحَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ الْجَبَابِرَةِ، كُلَّ أُسْبُوعٍ مَعَهُ مَلْزَمَةٌ يَقْدَحُ فِي عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ.

لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ أَحْمَقُ أَمْ أَنَّهُ يَعْمَلُ لِجِهَاتٍ خَارِجِيَّةٍ تُعْطِيهِ الدُّولَارَاتِ الْكَثِيرَةَ!

يُرِيدُونَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَمِنَ الْعَامَّةِ أَنْ يَتَنَكَّرُوا لِعُلَمَاءِ السُّنَّةِ، إذًا إلى مَن يَرجِعونَ في دينِهم؟ يَرجِعونَ إِلَى الصُّوفِيِّ الْخُرَافِيِّ؟ أَمْ إِلَى الشِّيعِيِّ الْأَحْمَقِ؟ أَمْ إِلَى الْحِزْبِيِّ الْمُنْحَرِفِ؟

بَعْضُ النَّاسِ يَدْعُو إِلَى الْبِدْعَةِ تَحْتَ شِعَارِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، أَوْ تَحْتَ شِعَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، وَالسُّنَّةِ الْمَحْضَةِ، وحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ دَاعٍ مِنْ دُعَاةِ الْبِدَعِ، وشِعَارُهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْصُرَ السُّنَّةَ وَأَنْ يُحَارِبَ التَّمْيِيعَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوِي الْبَائِسَةِ.



١٣	وَعُـــدْهُ إِنْ كَـــانَ مَرِيضًـــا وَابْـــتَهِجْ	فِـــي وَجْهِـــهِ فَهْـــوَ بِـــذَاكَ يَبْـــتَهِجْ

الشرح:

الْأَدَبُ الرَّابِعَ عَشَرَ: زِيَارَةُ الشَّيْخِ إِذَا مَرِضَ.

(**وَعُدْهُ إِنْ كَانَ مَرِيضًا**) وهَذَا مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عُمُومًا، وَمِنْ حُقُوقِ الْقَرِيبِ خُصُوصًا، وَمِنْ حَقِّ الشَّيْخِ عَلَى وَجْهٍ أَخَصَّ، فَيُزَارُ وَيُتَفَقَّدُ وَيُنْظَرُ فِي حَالِهِ، وَيُعَانُ إِنْ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى إِعَانَةٍ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» رواه مسلم.

إِذَا كَانَ هَذَا حَقًّا لِلْعَامِّي وَلِغَيْرِهِ، فَلِمَاذَا لَا يَكُونُ حَقًّا لِلْعَالِمِ وَالْمُدَرِّسِ؟

والمريضُ يأنسُ كثيرًا بزيارةِ أصحابِهِ، ومعَ ذلك فلتكنْ زيارةً خفيفةً حتى لا تُـمِلُّهُ.

(**وَابْتَهِجْ فِي وَجْهِهِ فَهْوَ بِذَاكَ يَبْتَهِجْ**)

الْأَدَبُ الخَامِسَ عَشَرَ هو: البشَاشَةُ في وجهِ معلِّمِكَ:

إِذَا لَقِيتَ مُعَلِّمَكَ - وأخاكَ المسلمَ- فَابْتَسِمْ فِي وَجْهِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسُرُّهُ، يَرَى أَنَّ هَذَا الطَّالِبَ اسْتَفَادَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، كَأَنَّهُ يَرَى أَنَّ لَهُ ثَمَرَةً فِي هَذَا الطَّالِبِ، أَصْبَحَ طَالِبًا يُحِبُّ الْعِلْمَ مُتَّصِفًا بِالْأَدَبِ «فَهُوَ بِذَلِكَ يَبْتَهِجُ» يَعْنِي يُسَرُّ حِينَ يَرَى مِنْ طُلَّابِهِ هَذَا، وَالْمُعَلِّمُ كَالْوَالِدِ يُحِبُّ لِلطُّلَّابِ أَنْ يَكُونُوا فِي أَحْسَنِ حَالٍ.

وفي حديثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» رواه مسلم. طَلْقٍ، أي: مُبْتَسِم.

❁❁❁❁

١٤	وَاحفَـظْ لَـهُ عِرْضًـا بِظَهْـرِ الْغَيْـبِ	فَهْــوَ الْـــأَبُ الرُّوحِــيُّ دُونَ رَيْـــبِ
١٥	وَبَعْــدَ هَــذَا فَاذْكُرَنْــهُ بِالحَسَــنْ	إِنْ ثَــمَّ عَيْــبٌ قُــلْ أَنَــا بَعْـضُ الْمِــنَنْ

الشرح:

الْأَدَبُ السادس عَشَرَ: عدمُ الغيبةِ للشيخِ.

(**وَاحْفَظْ لَهُ عِرْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ**) لَا تَغْتَبْهُ وَلَا تَسْمَحْ لِغَيْرِكَ أَنْ يَغْتَابَهُ، وَإِذَا سَمِعْتَ مَنْ يَغْتَابُ مُعَلِّمَكَ أَوْ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَانْصَحْ لَهُ بِحِكْمَةٍ، لَا تُوَاجِهِ السُّوءَ بِالسُّوءِ.

لا تَنْتَقِدْ عَلَيْهِ سُوءَ الْأَدَبِ ثُمَّ تَرُدُّ عَلَيْهِ بِسُوءِ أَدَبٍ!

فَأَنْتَ كَالَّذِي يَقُولُ شَيْئًا وَلَا يَعْمَلُ بِهِ فِي نَفْسِهِ.

فَمَنْ سَمِعَ مَنْ يَنْتَقِدُ أَوْ يَتَكَلَّمُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِ بِالنُّصْحِ وَالرِّفْقِ وَالْحِكْمَةِ، نَصِيحَةً مَلِيئَةً بِالْأَدَبِ وَالْأَخْلَاقِ، «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» هَكَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وعَمُودُ النَّصِيحَةِ حُبُّ الخَيْرِ لِلْآخَرِينَ، فَأَنْتَ بِالنُّصْحِ تُرِيدُ لَهُ الخَيْرَ.

بِخِلَافِ الَّذِي لَا يَفْقَهُ النُّصْحَ، يَخْلِطُ بَيْنَ النُّصْحِ والغَضبِ لِلنَّفْسِ، هُوَ يَتَكَلَّمُ بِبُغْضٍ وَكَرَاهَةٍ وَحُمْقٍ، رُبَّمَا يَسُبُّ وَيَشْتُمُ، ثُمَّ فِي الْأَخِيرِ يَقُولُ: أَنَا أَنْصَحُ! مَا هَكَذَا النَّصِيحَةُ، النَّصِيحَةُ رَحْمَةٌ وَمَحَبَّةُ الخَيْرِ لِلْآخَرِينَ.

(**فَهْوَ الْأَبُ الرُّوحِيُّ دُونَ رَيْبِ**) الْعَالِمُ هُوَ الْأَبُ الرُّوحِيُّ، والْمُدَرِّسُ هُوَ الْأَبُ الرُّوحِيُّ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ» رواه ابو دَاوُدَ وغيره.

وَمَنْ مَارَسَ التَّعْلِيمَ يَفْهَمُ هَذَا جَيِّدًا، فالْمُعَلِّمُ يَرَى الطُّلَّابَ كَأَوْلَادِهِ، وَيَحْرِصُ عَلَيْهِمْ وَيُحِبُّهُمْ وَيَرْغَبُ فِي الخَيْرِ لَـهُمْ.

حَتَّى مَن كَانَ يُعَلِّمُهُمْ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَكُونُ رَحِيمًا شَفِيقًا بِهِمْ، إلا من شذَّ.

الْأَدَبُ السابعَ عَشَرَ: ذكرهُ بالصفاتِ الحسنَةِ.

(**وَبَعْدَ هَذَا فَاذْكُرَنْهُ بِالحَسَنْ**) اذْكُرْ شَيْخَكَ بِمَا رَأَيْتَ فِيهِ مِنْ مَحَاسِنَ وَصِفَاتٍ طَيِّبَةٍ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ دعوةٌ لِلاسْتِفَادَةِ مِنْهُ، فَتَكُونَ دَلِيلًا لِلْآخَرِينَ لِيَسْتَفِيدُوا مِنْ عِلْمِهِ، مِنْ كُتُبِهِ، مِنْ تَسْجِيلَاتِهِ، هَذَا جُزْءٌ مِنْ رَدِّ المَعْرُوفِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ فِي مُعَلِّمِكَ أَوْ فِي شَيْخِكَ عَيْبًا فَأَنْتَ هُنَا تُعَامِلُهُ كَالطَّبِيبِ، تُحَاوِلُ أَنْ تَنْصَحَهُ، وَأَنْ تَسْعَى فِي إِزَالَةِ هَذَا الْعَيْبِ عَنْهُ دُونَ تَشْهِيرٍ.

بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَهَا أَوْرَاقٌ مَكْتُوبَةٌ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ عَلَى جُلَسَائِهِ وَمَشَايِخِهِ، وَيُصَدِّرُ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ بِقَوْلِهِ: «وَإِنَّمَا أَرَدْتُ النُّصْحَ»، النُّصْحُ لَا يَتَأَخَّرُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ! هَذَا يَدُلُّ عَلَى مَكْرٍ وَحِقْدٍ دَفِينٍ.

(**إِنْ ثَمَّ عَيْبٌ قُلْ أَنَا بَعْضُ الْمِنَنْ**) يَعْنِي أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ هَذَا الشَّيْخِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْصَحَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَإِلَّا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالسُّكُوتِ، وَاذْكُرْ مَعْرُوفَهُ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيْكَ، أَوْ دُلَّ شَخْصًا آخَرَ مِنْ ذَوِي الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ أَنْ يَنْصَحَهُ.

أَمَّا أَنْ تَرَى الْأَخْطَاءَ وَمُبَاشَرَةً تَبْدَأُ بِالتَّشْهِيرِ، فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الخَوَارِجِ وَطَرِيقَةُ الرَّافِضَةِ.

الرَّافِضَةُ يَقْدَحُونَ فِي حَمَلَةِ الدِّينِ منَ الصَّحَابَةِ، وَهُنَاكَ فِي أَيَّامِنَا مَنْ يَدَّعِي السَّلَفِيَّةَ وَهُوَ يَسْلُكُ طَرِيقَ الرَّافِضَةِ، يَقْدَحُ فِي حَمَلَةِ الدِّينِ!

والرَّافِضَةُ أَرَادُوا أَنْ يَطْمِسُوا الْإِسْلَامَ بِالْقَدْحِ فِي حَمَلَتِهِ، وَهَذَا مَاذَا يُرِيدُ؟ يُرِيدُ أَنْ يَمْحُوَ السُّنَّةَ بِالْقَدْحِ فِي حَمَلَتِهَا!

فَمَا أَحْوَجَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ونَسْأَلُ اللهَ تعالى السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.



[الكرم والعطاء]

١٦	وكُـــنْ كريمًـــا بالْحُطَـــامِ إنَّـــهُ	يَعُـــودُ نَتْنًـــا يَسْـــتَقِي مَـــنْ شَـــمَّهُ

الشرح:

الْأَدَبُ الثامنَ عَشَرَ: الكرمُ.

(**وَكُنْ كَرِيمًا بِالْحُطَامِ**) الحُطَامُ: مَتَاعُ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ، وَ«نَتْنًا» أَيْ: سَيِّءَ الرَّائِحَةِ، وَ«يَسْتَقِي» يَعْنِي: يَتَقَيَّأُ.

وهَذَا الْأَدَبُ هُوَ أَنْ طَالِبَ الْعِلْمِ يَكُونُ كَرِيمًا بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وأَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَرَمِ: الْكَرَمُ بِالْعِلْمِ، وَمَا يَتْبَعُ الْعِلْمَ مِنَ الدَّعْوَةِ، فَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنْهُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي الْكَرَمُ بِالْمَالِ أَوِ بِالطَّعَامِ وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ، وَهَذَا الْكَرَمُ يُحِبُّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ؛ «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ»، وَقَدْ سَمَّى اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَفْسَهُ الْكَرِيمَ.

وَمِنَ الْكَرَمِ: الْكَرَمُ بِالْوَقْتِ وَالْجَاهِ، أَنْ يَسْعَى فِي تَلْبِيَةِ مَصَالِحَ وَحَاجَاتِ الْآخَرِينَ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِهِ» رواه الطَّبَرَانِيُّ.

وَالْكَرَمُ أَيْضًا يَأْتِي بِمَعْنَى: التَّجَاوُزِ عَنِ الْأَخْطَاءِ وَغَضِّ الطَّرْفِ؛ فَالْكَرِيمُ لَا يُدَقِّقُ فِي أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ.

وَأَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ، عِنْدَهُمْ مِنَ الْكَرَمِ بِالْعِلْمِ وَالْكَرَمِ بِالْمَالِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، يَعْرِفُ هَذَا مَنْ جَالَسَهُمْ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

فَطَالِبُ الْعِلْمِ يَقْتَدِي بِالنَّبِيِّ ﷺ قَدْرَ الْإِمْكَانِ؛ إِنْ أَعْطَاهُ اللهُ الْمَالَ فَلْيَبْذُلْ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْمَالِ فَلَا يَبْخَلْ بِالْعِلْمِ وَالْوَقْتِ، قَدْ تَنْفَعُ النَّاسَ بِغَيْرِ الْمَالِ أَضْعَافَ مَا تَنْفَعُهُمْ بِالْمَالِ، وَمَا كُلُّ النَّاسِ يَحْتَاجُ الْمَالَ؛ فَالْكَرَمُ لَيْسَ مَحْصُورًا عَلَى بذْلِ المالِ.

وَلَوْ قَرَأْنَا فِي تَرَاجِمِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ لَرَأَيْنَا مِنْ كَرَمِهِمْ شَيْئًا عَجِيبًا.

كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُكْرِمُ كُلَّ مَنْ قَصَدَهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيُطْعِمُهُمْ أَفْخَرَ الْأَطْعِمَةِ وَهُوَ صَائِمٌ لَا يُفْطِرُ إِلَّا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَرُبَّمَا أَفْطَرَ عَلَى خُبْزٍ وَزَيْتٍ، وَهُوَ يُطْعِمُ ضُيُوفَهُ الْفَالُوذَجَ -يَعْنِي: مِنْ أَفْخَرِ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

وَهَكَذَا بَعْدَهُ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى اشْتَهَرَ الكثيرُ بالكرمِ، ومِنهُم شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِالْكَرَمِ، فَكَانَ يَبْذُلُ مِمَّا فِي يَدِهِ لَا يَرُدُّ أَحَدًا.

وَفِي عَصْرِنَا هَذَا مِمَّنِ اشْتَهَرَ بِالْكَرَمِ الْوَاسِعِ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَسَرْدُ الْقِصَصِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ كَرَمِهِ يَطُولُ، وَقَدْ أُلِّفَ فِي ذَلِكَ مُؤَلَّفَاتٌ.

وَكُلُّ مَنْ جَالَسْنَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ أَثَرُ الْعِلْمِ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَمِ شَيْءٌ كَثِيرٌ؛ فَالْعِلْمُ يَدْعُو إِلَى الْكَرَمِ.

وَطَالِبُ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ إِنْ كَانَ كَرِيمًا بِأَخْلَاقِهِ فَهُوَ كَرِيمٌ؛ فَكَرَمُ الْمَالِ يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ لَكِنَّ كَرَمَ الْأَخْلَاقِ هَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَرُبَّ طَالِبِ عِلْمٍ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْذُلَ مِنْ مَالِهِ، وَعِنْدَهُ الْعِلْمُ، عِنْدَهُ الْكَنْزُ الَّذِي لَا يَفْنَى؛ فَلْيَبْذُلْ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ تعالى، النَّاسُ مُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَغْنُوا عَنْكَ فِي الْمَالِ وَعَنْ غَيْرِكَ، لَكِنَّهُمْ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى الْعِلْمِ.

****

[الشجاعةُ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ]

١٧	وَكُـــنْ شُـــجَاعًا قَائِلًـــا بِـــالْحَقِّ	أَمْـــرًا بِعُـــرْفٍ لِلْـــوَلِيِّ الْحَـــقِّ
١٨	وَنَكِّـــرِ الْمُنْكَـــرَ، إِنْ لَـــمْ تَسْـــتَطِعْ	فَـــاهْرُبْ تَغَيُّـــبْ رَيْثَمَـــا أَنْ يَنْقَطِـــعْ

الشرح:

الْأَدَبُ التَّاسِعَ عَشَرَ: الشَّجَاعَةُ.

وَطَالِبُ الْعِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا صِفَةُ مَدْحٍ.

(**وَكُنْ شُجَاعًا**) الشَّجَاعَةُ: ثَبَاتُ الْقَلْبِ، كما أَنَّ الخَوْفَ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ.

وَالشَّجَاعَةُ المَمْدُوحَةُ هِيَ: ثَبَاتُ الْقَلْبِ وَالْإِقْدَامُ عَلَى الْقَوْلِ أَوِ الْعَمَلِ فِي مَوْضِعِهَا الْمُنَاسِبِ.

كَمَا أَنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الحَقِيقَةِ لا تُنافِي الْحِكْمَةَ؛ بِخِلَافِ الْجُرْأَةِ، فقَدْ يَكُونُ جَرِيئًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ حِكْمَةٌ، أَمَّا الشَّجَاعَةُ بِمَعْنَاهَا التَّامِّ فَهِيَ تَعْنِي الْإِقْدَامَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَالتَّرَاجُعَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.

وَلَيْسَتِ الشَّجَاعَةُ فِي الْحَرْبِ فقط، بَلِ الشَّجَاعَةُ تَدْخُلُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ؛ مِنْهَا الشَّجَاعَةُ فِي الْقَوْلِ أَنْ تَصْدَعَ بِالحَقِّ، وَمِنْهَا الشَّجَاعَةُ فِي التَّوْبَةِ، قَدْ تُذْنِبُ وَتَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ فَإِظْهَارُ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعُ عَنِ الخَطَأِ مِنْ أَعْظَمِ الشَّجَاعَةِ، وَمِنْهَا الشَّجَاعَةُ فِي الاعْتِذَارِ إِذَا أَخْطَأْتَ.

فالشَّجَاعَةُ تَدْخُلُ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ.

(**قَائِلًا بِالْحَقِّ**) مِنَ الشَّجَاعَةِ أَنْ تَقُولَ الحَقَّ مَعَ اسْتِعْمَالِ الْحِكْمَةِ، ولَا يَكْفِي أَنْ تَقُولَ الحَقَّ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُكَ مُنَاسِبًا لِلزَّمَانِ أَوِ المَكَانِ أَوْ أَوْ النَّاسِ.

وفي حَديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» متفقٌ عليه.

فَلَوْ أَنَّ الحَاكِمَ مَثَلًا أَمَرَ بِظُلْمٍ فَيَظْهَرُ الخَطِيبُ عَلَى الْـمِنْبَرِ وَيُنْكِرُ فهَذِهِ ليسَتْ شَجَاعَةً، ولَيْسَ بِصَوَابٍ! لَكِنِ الشَّجَاعَةُ أَنْ يَذْهَبَ وَيَسْتَأْذِنَ وَيَدْخُلَ عَلَى هَذَا الحَاكِمِ وَيَجْلِسَ إِلَيْهِ وَيَقُولَ: «اتَّقِ اللهَ، هَذَا الَّذِي أَمَرْتَ بِهِ ظُلْمٌ لَا يَجُوزُ»، هَذِهِ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ اسْتَعْمَلُوا هَذِهِ الشَّجَاعَةَ مَعَ حُكَّامِهِمْ وَمَسْؤُولِيهِمْ وَجَاؤُوهُمْ وَنَاصَحُوهُمْ بِالْحِكْمَةِ وَفِي مَجَالِسِهِمُ الخَاصَّةِ لَنَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا كثيرًا.

الْأَدَبُ العشرونَ: الأمرُ بالمعروفِ.

(**أَمْرًا بِعُرْفٍ**) طَالِبُ الْعِلْمِ دَائِمًا يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى المَعْرُوفِ، وَهُوَ الْمُوَافَقَةُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْخَلَ فِي دَلَالَةِ النَّاسِ عَلَى الخَيْرِ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وقال سبحانَهُ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

(**لِلْوَلِيِّ الْحَقِّ**) يَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا هو الإخلاصُ لله تعالى، وهو عبادةٌ عظيمةٌ، وأرادَ بهذا ذمَّ من يُظهِرُ الأمرَ بالمعروفِ لأغراضٍ مخالفةٍ.

الْأَدَبُ الواحدُ والعشرونَ: النهيُ عن المنكرِ.

(**وَنَكِّرِ الْمُنْكَرَ**) إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الشَّجَاعَةِ، وَالْمُنْكَرُ هُوَ: مَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ بِحَسَبِ الِاسْتِطَاعَةِ؛ وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مُسْلِم.

وَأَنْكَرُ الْمُنْكَرَاتِ الشِّرْكُ ثُمَّ الْبِدَعُ، وَالْمُنْكَرُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، تُنْكِرُهُ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَتُبَيِّنُ الحَقَّ لِلنَّاسِ وَلَوْ نَقَصَتْ دُنْيَاكَ.

(**إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاهْرُبْ تَغَيَّبْ رَيْثَمَا أَنْ يَنْقَطِعْ**) فَإِنْ عَجَزْتَ -إِمَّا لِضَعْفِ إِيمَانِكَ أَوْ تَخَافُ أَنْ يَحِلَّ بِكَ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَى تَحَمُّلِهِ- فَمَا هُوَ الحَلُّ؟ تُشَاهِدُ الْمُنْكَرَ؟ لَا، «اهْرُبْ تَغَيَّبْ»، اِذْهَبْ إِلَى مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا الْمُنْكَرُ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَبْقَى مُخْتَارًا تُشَاهِدُ الْمُنْكَرَ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْكَ سَيَقُولُونَ: فُلَانٌ الْمُطَوَّعُ أَوْ فُلَانٌ طَالِبُ الْعِلْمِ جَلَسَ يَسْمَعُ وَيَنْظُرُ، هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ!

فَتَكُونُ بِتَصَرُّفِكَ هَذَا قَدْ شَجَّعْتَ النَّاسَ عَلَى فِعْلِ الْمُنْكَرِ.

وَفِي حَدِيثِ الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِذَا عُمِلَتِ الخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَأَنْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا) رواه أبو داود وحسنه الألباني.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُنْكِرَ فَتَغَيَّبْ حَتَّى يَزُولَ ذَلِكَ الْمُنْكَرُ.

مِثَالُ ذَلِكَ: يَذْهَبُ طَالِبُ الْعِلْمِ إِلَى عُرْسٍ لِبَعْضِ أَقَارِبِهِ يَصِلُ وَهُمْ يُغَنُّونَ، يَرْجِعُ وَيَتْرُكُ حُضُورَ هَذِهِ الْوَلِيمَةِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَ هَذَا الْمُنْكَرَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْصَرِفَ وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجَالِسَ الْمُنْكَرَ، وَلَا أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْمُنْكَرِ.

أَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.



[التَّحَلِّي بالصَّبْرِ والحِلْمِ]

١٩	وَكُـنْ صَـبُورًا، وَاتَّصِـفْ بِـالْحِلْم	فَإِنَّــهُ مِــنْ شِــيَمَ اهْــلِ الْعِلْــم

الشرح:

الْأَدَبُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: وَهُوَ التَّحَلِّي بِالصَّبْرِ.

(**وَكُنْ صَبُورًا**) وَالصَّبْرُ، هُوَ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَنِ المَعْصِيَةِ لِإِبْعَادِهَا عنها، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَقْدَارِ المُؤْلِمَةِ. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وَمِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الصَّبْرِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا طَالِبُ الْعِلْمِ: الِاسْتِمْرَارُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ:

الِاسْتِمْرَارُ الزَّمَنِيُّ، بِحَيْثُ يَسْتَمِرُّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ اسْتِمْرَارًا لِزَمَنٍ طَوِيلٍ، وَالِاسْتِمْرَارُ فِي حِفْظِ المَعْلُومَاتِ وَمُرَاجَعَتِهَا، وَفِي حِفْظِ المُتُونِ، وَعَلَى رَأْسِ ذَلِكَ حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَالَّذِي لَا يَصْبِرُ لَنْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَالَّذِي لَا يَصْبِرُ لَنْ يَسْتَمِرَّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالَّذِي لَا يَصْبِرُ لَنْ يَسْتَمِرَّ فِي الِاجْتِهَادِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ فِي بَذْلِ الْعِلْمِ، وَفِي الدَّعْوَةِ؛ فَرُبَّمَا لَا يَلْقَى مَنْ يُقَدِّرُ الْعِلْمَ، فَرُبَّمَا يَلْقَى مَنْ يُقَدِّرُ الْعِلْمَ لَكِنَّ فَهْمَهُ ضَعِيفٌ؛ فَيَحْتَاجُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى تَعْلِيمِهِ زَمَنًا طَوِيلًا، وَرُبَّمَا لَا يَجِدُ طُلَّابَ عِلْمٍ فِي هَذَا فَيَحْتَاجُ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ يَجِدُ فِيهِ مَنْ يَتَلَقَّى الْعِلْمَ.

فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الصَّبْرِ عِنْدَ التَّعَلُّمِ، وَعِنْدَ التَّعْلِيمِ، وَعِنْدَ الدَّعْوَةِ، وَحَتَّى فِي نَفْسِهِ فِي المُرَاجَعَةِ وَالحِفْظِ وَالمُذَاكَرَةِ، وَيَحْتَاجُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى عَوَارِضِ الطَّلَبِ كَالْفَقْرِ وَمَشَاقِّ السَّفَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»؛ أَيْ: نُورٌ لِصَاحِبِهِ، وَالصَّبْرُ أَيْضًا فِيهِ حَرَارَةٌ كَحَرَارَةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، ويَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّجَلُّدِ.

وَأَيْضًا يَحْتَاجُ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مُعَلِّمِهِ إِنْ حَصَلَتْ مِنْهُ جَفْوَةٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ تَأْدِيبٌ.

اصْبِرْ على مُرِّ الجَـفَا مِنْ مُعَلِّمٍ ... فإنَّ رُسوبَ العلْمِ فِي نَفْرَاتِهِ
مَنْ لَمْ يَـذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

الْأَدَبُ الثَّالث وَالْعِشْرُونَ: هُوَ الاتِّصَافُ بِالْحِلْمِ.

(**وَاتَّصِفْ بِالْحِلْمِ**) وَالْحِلْمُ، هُوَ: الْأَنَاةُ والتَّثَبُّتُ وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ وَالطَّيْشُ.

فَالحَلِيمُ لَا يَسْتَعْجِلُ وَلَا يُصْدِرُ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا قَبْلَ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنَ المَسْأَلَةِ.

والشَّخْصُ الطَّائِشُ رُبَّمَا يَسْمَعُ نِصْفَ الْكَلِمَةِ فَيُبَادِرُ إِلَى تَحْلِيلِهَا أَوْ نَشْرِهَا.

وَالْحِلْمُ صِفَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَفْسَهُ بِالحَلِيمِ، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، وَوَصَفَ أَنْبِيَاءَهُ عليهمُ السلامُ بِالْحِلْمِ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.

وَوُجِدَ مِنَ السَّلَفِ الْكَثِيرُ مِمَّنْ وُصِفُوا بِالْحِلْمِ؛ ويُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَقِلَّ حِلْمُكَ، وَإِنَّمَا الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ».

(**فَإِنَّهُ مِنْ شِيَمِ اهْلِ الْعِلْمِ**) أَيْ: مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَكَانَ السَّلَفُ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّخْصِ كَيْفَ أَثَّرَ الْعِلْمُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الحِلْمِ، فَإِذَا رَأَوْا عَلَيْهِ آثَارَ الحِلْمِ رَجَوْا فِيهِ الخَيْرَ، وَإِنْ رَأَوْا أَنَّ الحِلْمَ بَعِيدٌ عَنْهُ لَمْ يُبَالُوا بِهِ.

****

[الحذرُ مِنْ كِتْمَانِ الْعِلْمِ]

٢٠	وَاحْـذَرْ مِـنَ الْكِتْمَـانِ إِنَّ كَاتِمَـا	عِلْمًـا عَـنِ النَّـاسِ بِنَـارٍ أُلْجِمَـا

الشرح:

الْأَدَبُ الرابعُ وَالْعِشْرُونَ: هُوَ الِاتِّصَافُ بِالْحِلْمِ.

(**وَاحْذَرْ مِنَ الْكِتْمَانِ**) احْذَرْ مِنْ كِتْمَانِ الْعِلْمِ عَن ما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، أَوْ عِنْدَ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

(**بِنَارٍ أُلْجِمَا**) جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْـجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

فَالشَّخْصُ يَحْرِصُ عَلَى بَذْلِ الْعِلْمِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ؛ لِأَنَّ بِبَذْلِ الْعِلْمِ يَبْقَى الْعِلْمُ حَيًّا، كَمَا جَاءَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ قَالَ: « نَعْشُ الْعِلْمِ حَيَاةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا»؛ نَعْشُ الْعِلْمِ وَنَشْرُهُ وَبَثُّهُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ النَّاسُ، فَلَا يَمُوتُ الْأَوَّلُ حَتَّى يُوجَدَ مَنْ يَخْلُفُهُ وَيَقُومُ بِالْعِلْمِ.

فَأَمَّا إِنْ كُتِمَ العلمُ الشرعيُّ جَهِلَ النَّاسُ دينَهُم، وعِنْدَ ذَلِكَ سَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَإِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ، وَرُبَّمَا إِلَى أَهْلِ السِّحْرِ وَالشِّرْكِ.

كَانَ فِي دَوْلَةِ الشِّيعَةِ فِي الْيَمَنِ، وَفِي دَوْلَةِ الصُّوفِيَّةِ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَى فِي تُرْكِيَا وَسُورِيَا وَأَفْرِيقِيَا إِلَى آخِرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الجَهْلِ كَانَ فِي بعضِ الأماكنِ الَّذِي يَعْقِدُ النكاحَ لِلنَّاسِ هُوَ السَّاحِرُ، وَالَّذِي يُقَسِّمُ بَيْنَهُمُ الْأَرَاضِيَ وَالَّذِي يَكْتُبُ الْبَصَائِرَ وَالْوَصَايَا هُوَ السَّاحِرُ.

سَاحِرٌ وَهُمْ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ وَيُسَمُّونَهُ بِالْفَقِيهِ.

أَوْ يَكُونُ مِنْ سَدَنَةِ الْقُبُورِ وَهُمْ يسمُّونَهُ: الْفَقِيهُ فُلَانٌ؛ وَالسَّيِّدُ فُلَانٌ.

فَإِذَا كُتِمَ الْعِلْمُ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا.

الشَّخْصُ يَحْرِصُ أَنْ يَبْذُلَ الْعِلْمَ قَدْرَ الْإِمْكَانِ.

فَإِنْ أَرَادَ بَذْلَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَجِدْ فُرْصَةً، يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَ فَلَا تُتَاحُ لَهُ الْفُرْصَةُ، يُرِيدُ أَنْ يُذَكِّرَ فَيُمْنَعُ، فَهَذَا يَصْبِرُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ يَنْفَعُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِعِلْمِهِ؛ فَإِنَّ حَيَاةَ الْعِلْمِ مُذَاكَرَتُهُ،

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

****

[تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، والإقبالُ على العبادةِ]

٢١	وَدَعْ مِـــرَاءً لِلسَّـــفِيهِ وَلْـــتَقُمْ	فِــي جَــوفِ لَيْــلٍ خَاشِــعًا ذَا شَــأْنُهُمْ

الشرح:

الْأَدَبُ الخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ.

(**وَدَعْ مِرَاءً لِلسَّفِيهِ**) تَرْكُ الْـمِرَاءِ وَالْجِدَالِ عُمُومًا، وَتَرْكُ جِدَالِ السُّفَهَاءِ وَالْمُبْتَدِعَةِ خُصُوصًا.

وَالْجِدَالُ، هُوَ: الْأَخْذُ وَالْعَطَاءُ فِي الْكَلَامِ لِإِقْنَاعِ الخَصْمِ بِالْحُجَّةِ أو إبْطَالِ حُجتِهِ.

يُدْلِي بِحُجَّتِهِ وَذَاكَ يَرُدُّ وَهَكَذَا.

وَالسَّفِيهُ، هُوَ: الَّذِي لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ، وَأَيْضًا يُقَالُ لِلْمُبْتَدِعِ سَفِيهٌ، وَيُقَالُ لِسَيِّءِ الْأَخْلَاقِ سَفِيهٌ، ومَنْ لَا يَقْبَلُ الحَقَّ فَإِنَّهُ سَفِيهٌ؛.

وَالمَقْصُودُ هُنَا: لَا تُجَادِلْ مَنْ لَا يَقْبَلُ الحَقَّ، لِأَنَّ جِدَالَكَ مَعَهُ مضْيعَةٌ لِلْوَقْتِ، وَأَيْضًا تَشْجِيعٌ لِهَذَا السَّفِيهِ لِيُظْهِرَ أَفْكَارَهُ بَيْنَ النَّاسِ.

وجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ» رواه التِّرْمِذِيُّ.

وَالَّذِي دَائِمًا يُجَادِلُ وَيُنَاظِرُ رُبَّمَا يَنْتَهِي بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، يَتَأَثَّرُ كُلَّ مَرَّةٍ قَلِيلًا قَلِيلًا، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُوماتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ»؛ يُجَادِلُ هَذَا وَهَذَا؛ فَرُبَّمَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ كَلِمَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ فَإِذَا بِهِ يَلْتَحِقُ بِهِمْ.

وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا قَبْلَ أَيَّامٍ عَنْ أَحَدِ الدُّعَاةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَبْرَزِ مَنْ نَشَرَ السُّنَّةَ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ، إِذَا بِهِ يَتَحَوَّلُ إِلَى فِكْرٍ مِنْ أَفْكَارِ الْغُلُوِّ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْجِدَالِ وَالنِّقَاشِ.

وَسُئِلَ الحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ -وَهُوَ مِنَ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ-: مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَى الْأَهْوَاءِ؟ قَالَ: «الخُصُومَاتُ».

فَالشَّخْصُ بِنِقَاشِهِ أَهْلَ الْبِدَعِ يَفْتَحُ لَـهُمْ مَجَالًا لِبَثِّ الشُّبَهِ، بَلْ يُتْرَكُونَ حَتَّى يَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ.

(وَلْتَقُمْ فِي جَوْفِ لَيْلٍ خَاشِعًا ذَا شَأْنُهُمْ)

الْأَدَبُ الْأَخِيرُ رَقْمُ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ: وَهُوَ قِيَامُ اللَّيْلِ.

الْحِرْصُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَعَلَى صَلَاةِ الْوِتْرِ، إِنْ كُنْتَ نَشِيطًا لِلْقِيَامِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَهُو أَفْضَلُ؛ وَإِلَّا فَصَلِّ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَلَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ عِلْمٍ تَفُوتُ صَلَاةَ الْوِتْرِ.

وَصَلَاةُ الْوِتْرِ كَانَ السَّلَفُ يَحْسِبُونَ لَهَا حِسَابًا؛ وَيَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: عَلَّمَنِي وَالِدِي أَنْ أُصَلِّيَ اللَّيْلَ وَعُمْرِي اِثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أُحَافِظُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ حَتَّى الْيَوْمِ، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: يَا بُنَيَّ قُمْ فَإِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ.

الْآنَ هُوَ يُعْتَبَرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي عَصْرِنَا.

(**ذَا شَأْنُهُمْ**) شأنُ أهلِ العلمِ، وَكَانَ السَّلَفُ فِي النَّهَارِ يُحَدِّثُونَ وَيَكْتُبُونَ الْعِلْمَ وَفِي اللَّيْلِ يُصَلُّونَ.

ذُكِرَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ -وَهُوَ أَحَدُ الثِّقَاتِ- أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَيُطِيلُ الْقِيَامَ، حَتَّى إِنَّ الشَّخْصَ لَيَخْرُجُ وَيَرَى فِي سَطْحِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيَلْقَى فَتْرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ وَهُوَ قَائِمٌ.

وَيُقَالُ -وَيَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ فِي سَنَدِهِ- أَنَّ ابْنَةَ الْأَعْمَشِ حِينَ مَاتَ مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ قَالَتْ: يَا أَبَتِ، أَيْنَ الْخَشَبَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي سَطْحِ مَنْصُورٍ كُنَّا نَرَاهَا فِي اللَّيْلِ؟ قَالَ: لَا، ذَاكَ مَنْصُورٌ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّهُ خَشَبَةٌ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تعالى فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفُرْقَانِ: ٦٤]، وَقَالَ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٩].

وَحَافِظْ عَلَى نَوَافِلِ الضُّحَى، والسُّنَنِ الرَّوَاتِبِ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ هَذِهِ هِيَ سَبَبٌ لِصَلَاحِ الْقَلْبِ وَتَهْيِئَةِ الْقَلْبِ لِقَبُولِ الْعِلْمِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

****

[الخاتمة]

٢٢	فَهَــذِهِ عِشْـــرُونَ خَصْــلَةً أَتَــتْ	وَبَعْـــدَهَا سِـــتٌّ بِعِقْـــدٍ نُظِمَـــتْ
٢٣	فَاشْـدُدْ بِهَـا يَـدَيْكَ فِـي الْأَحْـدَاثِ	إِنْ رُمْـــتَ قِسْـــمَةً مِـــنَ الْمِـــيرَاثِ

الشرح:

(**عِشْرُونَ خَصْلَةً أَتَتْ وَبَعْدَهَا سِتٌّ**) سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ أَدَبًا.

(**بِعِقْدٍ نُظِمَتْ**) تُشْبِهُ الْعِقْدَ الْمَنْظُومَ بِاللُّؤْلُؤِ أَوْ بِالْخَرَزِ، فَيَصِيرُ هَذَا الْعِقْدُ جَمِيلًا بِجَمَالِ الْخَرَزِ الَّتِي فِيهِ، أَيْ: وَيُصْبِحُ طَالِبُ الْعِلْمِ جَمِيلًا بِجَمَالِ الْآدَابِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا.

(**فَاشْدُدْ بِهَا يَدَيْكَ**) يَعْنِي: تَمَسَّكْ بِهَا بِشِدَّةٍ وَحَافِظْ عَلَيْهَا قَدْرَ الْإِمْكَانِ.

(**فِي الْأَحْدَاثِ**) عَلَى طُولِ الزَّمَانِ وَمَرِّ الْأَعْوَامِ وَالْأَعْمَارِ.

(**إِنْ رُمْتَ قِسْمَةً مِنَ الْمِيرَاثِ**) إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَكَ قِسْمَةٌ وَنَصِيبٌ مِنَ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ، مِيرَاثِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، هَذَا هُوَ الْمِيرَاثُ النَّبَوِيُّ: عِلْمٌ وَعَمَلٌ.

وَنَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَرْحَمَ الشَّيْخَ وَأَنْ يَرْفَعَ قَدْرَهُ وَدَرَجَتَهُ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، وَالْخَشْيَةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

****

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة ذهبية تستحق النشر والشرح

من يجلس في حلقات العلم والسنة مع ضعف الفهم يستفيد سبع فوائد:

١ - الأجر المترتب على مجالس العلم والذكر.

٢ - حب العلم وأهله. والمرء يوم القيامة مع من أحب.

٣ -الرغبة في الاستمرار في طلب العلم، وهو طريق إلى الجنة.

٤ -المجالسة تسهل الفهم والعلم مع مرور الوقت.

٥ - مجالسة الصالحين وأثر ذلك خير كبير. وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

٦ - الثبات على الحق والسنة، فالمجالسة لأهل العلم والسنة، ومجالس العلم سبب الثبات.

٧ - تكثير سواد أهل العلم والسنة. وتلك نصرة عظيمة.

فإن كان ممن يفهم فله أيضاً ثلاثٌ أخرى:

٨ - التزود من العلم، والتوسع فيه.

٩ - مراجعة العلم، وإتقانه.

١٠ - وجودُه تحفيز الآخرين على الحضور، فحضور الطلاب يرغِّب غيرهم من العامة.

ويستفيد المدرس مع العشر أربع فوائد أخرى.

١١ -مراجعة معلومته، فإن حياة العلم مذاكرته.

١٢ -نشر علمه ليصبح له صدقة جارية. فأعظم الصدقات بذل العلم النافع.

١٣ -علو الهمة، فالتعليم يرفع من همة المعلم، ولذلك تجده أكثر تحضيرا للدرس، وحرصا على استمراره.

١٤ -التعليم سبب عظيم للاستمرار في تلقي العلم، والانشغال به.

